الله أكبر

فتح العليم

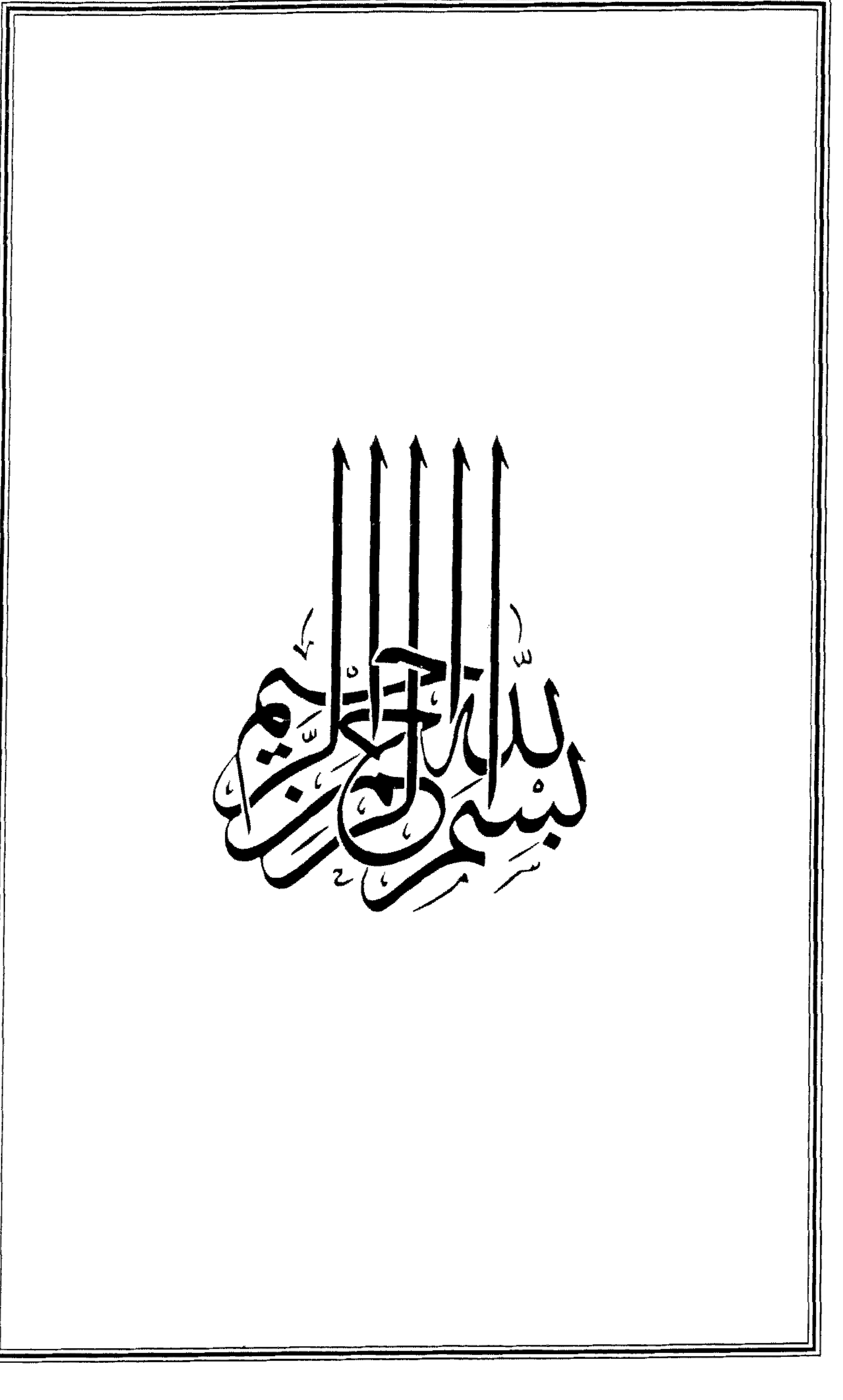
في شرح أدعية و أذكار الصلاة من التكبير إلى التسليم

تأليف
حسين بن عودة العوايشة

دار ابن حزم

فتح العليم

في شرح أدعية و أذكار الصلاة من التكبير إلى التسليم


بسم الله الرحمن الرحيم

فتح العليم

في شرح أدعية و أذكار الصلاة من التكبير إلى التسليم

تأليف
حسين بن عودة العوايشة

دار ابن حزم

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

ISBN 9953-81-406-6

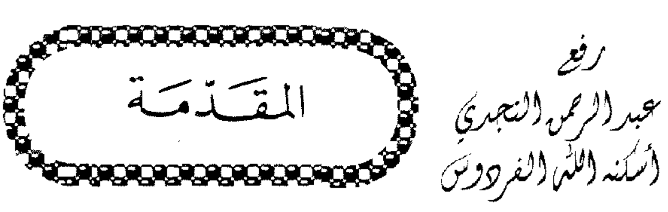
الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)

بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb



إنَّ الحمْدَلله، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أَنْفُسِنا، وسيِّئاتِ أعمالِنا، من يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضْلِل فلا هاديَ لهُ.

وأَشهَدُ أنْ لا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ ورَسولُه.

﴿ **يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حقَّ تُقَاتِهِ ولاَ تَمُوتُنَّ إلا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ** ﴾(١).

﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم من نفْسٍ وَاحدَةٍ وَخلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً ونساءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تساءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً** ﴾(٢).

﴿ **يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِح لَكُم أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾(٣).

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١.

أمَّا بعد :

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدْي هدْي محمّد ﷺ، وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النَّار.

فإنّ للصلاة عند الله ـ تعالى ـ منزلةً سامية ودرجةً عظيمة، فقد قال رسول الله ﷺ: « إنّ أول ما يُحاسَب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإنْ صلُحت فقد أفلح وأنجح، وإنْ فسدَت فقد خَاب وخسِر، فإن انتقص من فريضته شيئاً، قال الربُّ ـ تبارك وتعالى ـ: « انظروا هل لعبدي مِن تطوع فيُكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثمّ يكون سائر عمله على ذلك »[1].

وقال ﷺ « الصلاة خير موضوع، فمن استطاعَ أن يستكثر فليستكثر »[2].

---

(١) أخرجه الترمذي « صحيح سنن الترمذي » (٣٣٧)، وصححه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في « صحيح الترغيب والترهيب » (٥٤٠).

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » وغيره وحسّنه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في « صحيح الترغيب والترهيب » (٣٩٠).

فلا بد أن يعقل المرء ما يلفِظُه ، مِن تلاوة، وذِكْر ودعاء حتى يحقق هذا المقصد العظيم ، ولتَسموَ منزلته عند الله، وتعلو مكانته .

ولقد رأيتُ عدم التطويل في الشرح؛ تسهيلاً على القارئ .

ويحسُنُ بي أَنْ أُنبّه أَنّ على ألفاظ الأَحاديث الشريفة المنقولة عن « صفة صلاة النبي ﷺ » قد لا يجدها القارئ في كتابٍ واحد، إِذ هي طريقة شيخنا ـ رحمه الله ـ في جمْع الرّوايات والأَلفاظ ، وجعْلها في سياقٍ واحد؛ لخدمة الموضوع المطروق ، ولشيخنا ـ رحمه الله ـ كلام مفيدٌ في هذا ؛ في مقدّمة « مختصر صحيح البخاري » فانظره إِن شئت .

أسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، إِنه على كل شيءٍ قدير .

وكتب :

حسين بن عودة العوايشة

تكبيرة الإِحرام : (اللهُ أكبر) .

عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « مفتاح الصلاة الطُّهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم »[1] .

الشرح :

اللهُ أكبر : أي : هو أكبر من كل شيء ، وكل شيء دونه خاضع حقير متصاغر بالنسبة إليه [2] .

وجاء في « النهاية » : « اللهُ أكبر معناه : اللهُ الكبير، فوُضع أفعل مَوْضع فَعيل، كقول الفرزدق :

إنّ الذي سَمَكَ[3] السماء بَنَى لنا

بيتاً دَعائمه أعَزُّ وأطْولُ

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم وصحّحه، ووافقه الذهبي، وهو مُخرَّج في « الإرواء » (٣٠١) .

(٢) ملتقط من « تفسير الطبري » و « ابن كثير » في مواطن متعدّدة وانظر فيهما سورة الرعد :٩ ، الحج :٦٢ ، سبأ : ٢٣ ، لقمان : ٣٠ .

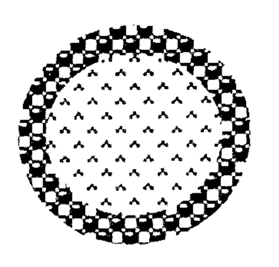
(٣) سمك : بنى ورفع .

أي: عزيزة طويلة.

وقيل معناه: اللهُ أكْبَر من كل شيء، أي أَعْظَم، فحذفت «من» لِوُضوح معناها.

وقيل: معناه: اللهُ أكْبَر من أن يُعرف كُنْهُ كِبريائه، وعَظَمته[1].

وانظر للمزيد من الفائدة ما ذَكره شيخ الإسلام - رحمه الله - من فوائد جليلة، وأقوال جميلة في «مجموع الفتاوى» (١٦ / ١١٢) و (٢٤ / ٢٢٩) وما بعدها.



(١) قلت: وهذا القول إن لم يكن تفسيراً، فهو لازم صفة هذه الكلمة، إذ الله أكبر من أن يُحاط به علماً ﴿**ولايحيطون بشيءٍ من علمه إلا بما شاء**﴾ البقرة: ٢٥٥.

دعاء الاستفتاح:

ثبَت عن النّبي ﷺ أدعيةٌ عديدةٌ في هذا الموطن، فيحسُن بالمصلي أن يقرأ تارةً بهذا، وتارةً بهذا، وإليك هذه الصِّيغ[1].

١- اللهمّ باعدْ بيني وبين خطاياي؛ كما باعدْتَ بين المشرق والمغرب، اللهم نقِّني من خطاياي؛ كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسِلني من خطاياي؛ بالماء والثلج والبَرَد، وكان يقوله في الفرض[2].

٢- وجَّهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض، حنيفاً [مسلماً] وما أنا من المشركين، إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمِرت وأنا أوّل المسلمين، اللهّم أنت الملِك، لا إله إلاّ أنت،

---

(١) نقلْتُها وتخريجاتها من كتاب «صفة الصلاة» (٩١- ٩٥) بتصرُّف يسير.

(٢) أخرجه البخاري: ٧٤٤ ، و مسلم: ٥٩٨.

[سبحانك وبحمدك]، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي، واعترفْتُ بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً؛ إنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، واهدني لأحسن الأخلاق ؛ لا يهدي لأحسنها إلاّ أنت ، واصرف عنّي سيئها، لا يصرف عنّي سيئها إلاّ أنت لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك [والمهدي من هديت] أنا بك وإليك، [لا منجا ولا ملجأ منك إلاّ إليك]، تباركتَ وتعاليتَ، أستغفرك وأتوب إليك. وكان يقوله في الفرض والنفل[1].

٣- سبحانك، اللهمّ وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جَدُّك، ولا إله غيرك[2].

٤- الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بُكرة وأصيلاً، استفتح به رجل من الصحابة فقال ﷺ: «عجبْتُ لها! فُتِحت لها أبواب السماء»[3].

---

(١) أخرجه مسلم: ٧٧١ ، وأبو عوانة، وأبو داود، وغيرهم.

(٢) أخرجه أبو داود، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم: ٦٠١ ، وغيره.

٥ـ الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه؛ استفتح به رجل آخر، فقال ﷺ: «لقد رأيت اثني عَشَر مَلَكاً يبتدرونها أيهم يرفعها[1]».

٦ـ اللهمّ لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهنّ، ولك الحمد، أنت قيِّمُ السماوات والأرض ومن فيهنّ، [ولك الحمد، أنت مَلِك السماوات والأرض ومن فيهنّ]، ولك الحمد، أنت الحقّ، ووعدك حقّ، وقولك حقّ، ولقاؤك حقّ، والجنّة حقّ، والنار حقّ، والساعة حقّ، والنبيّون حقّ، ومحمّد حقّ، اللهمّ لك أسلمتُ، وعليك توكّلتُ، وبك آمنْتُ، وإليك أنَبْتُ، وبك خاصمْتُ، وإليك حاكمْتُ، [أنت ربنا وإليك المصير، فاغفِر لي ما قدَّمْت، وما أخّرتُ، وما أسررت وما أعلنْت]، [وما أنت أعلم به مني]، أنت المقدِّم وأنت المؤخر، [أنت إلهي]، لا إله إلاّ أنت، [ولا حول ولا قوة إلاّ بك][2].

---

(١) أخرجه مسلم: ٦٠٠، وأبو عوانة.

(٢) أخرجه البخاري: ٧٤٩٩، ومسلم: ٧٦٩، وغيرهما.

وكان يقول ﷺ في صلاة الليل كالأنواع الآتية[1]:

٧- اللهمّ ربّ جبرائيل وميكائيل وإِسرافيل، فاطر السماوات والأرض! عالم الغيب والشهادة! أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون؛ اهدني لما اختُلف فيه من الحقّ بإِذنك، إنك تهدي من تشاء إِلى صراط مستقيم[2].

٨- كان يكبر عشراً، ويحمد عشراً، ويسبح عشراً، ويُهلّل عشراً، ويستغفر عشراً، ويقول: «اللهمّ اغفر لي واهدني وارزقني [وعافني]» عشراً، ويقول: «اللهمّ إِني أعوذ بك من الضيق يوم الحساب» عشراً[3].

---

(١) قال شيخنا - رحمه الله - في التعليق على «الصفة»: «ولا ينفي ذلك مشروعيتها في الفرائض أيضاً كما لا يخفى؛ إلاَّ الإمام كي لا يطيل على المؤتمّين».

وقال - رحمه الله - في «تمام المنّة» (ص١٧٥): في مثل هذا: «وإذا كان ذلك مشروعاً في الفريضة؛ ففي النافلة من باب أولى؛ كما لا يخفى على أولي النهى».

(٢) أخرجه مسلم: ٧٧٠، وأبو عوانة.

(٣) أخرجه أحمد، وابن أَبي شيبة وأبو داود والطبراني في «الأوسط» بسند صحيح وآخر حسن.

٩ـ اللّٰه أكبر [ثلاثاً] (ذو الملكوت والجبروت) والكبرياء والعظمة[١] .

الشرح :

● **اللهّم باعِد بيني وبين خطاياي** : اللهّم يا اللّٰه والميم عوض من يا .

جاء في « فيض القدير » (٢ / ١٠٠) : اللّهم : أصلُه يا اللّٰه، حُذفت ياؤُه وعُوِّض عنها الميم ، وشُدّدت لتكون على حرفين كالمعوّض عنه » .

نقّني من الخطايا : أي اغسل خطاياي، كما ينقَّى الثوبُ الأبيض من الدنس . الدنس :الوسخ[٢] .

اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبَرد : أي اللهمّ طهِّرني بأنواع مغفرتك التي تمحق الذّنوب تطهير الأنواع الثلاثة، ذكَره بعض العلماء، وبه يقول شيخنا

---

(١) أخرجه الطيالسي، وأبو داود بسند صحيح .

(٢) انظر « النهاية » .

- رحمه الله - في إجابةٍ أَجابنيها[1].

وقال ابن دقيق العيد - رحمه الله -: ... فإنّ الثوب الذي يتكرّر عليه ثلاثة أشياء منقّية، يكون في غاية النقاء[2].

● **وجّهت وَجْهي**: *أي: أخلصْتُ ديني وأَفرَدْتُ عبادتي.

للذي فَطَر السماوات والأرض: أي: خَلقَهما وابتدعهما على غير مثالٍ سَبق.

حنيفاً: الحنيف: أي: مائلاً عن الشرك إلى التوحيد*[3] وأصْل الحنَف: الميل، ويكون في الخير والشرّ، ويتصرّف إلى ما تقتضيه القرينة...[4].

وما أنا من المشركين: بيان للحنيف، وإيضاحٌ لمعناه، والمشرك يُطلق على كلّ كافر؛ مِن عابدِ وثَن وصنم، ويهوديّ، ونصراني، ومجوسي، و مرتد، وزنديق وغيرهم[5].

---

(١) انظر شرح «صحيح الأدب المفرد» (٢/ ٣٤١).

(٢) انظر «الفتح» (٢/ ٢٣٠).

(٣) ما بين نجمتين من «تفسير ابن كثير» سورة الأنعام: ٧٩.

(٤، ٥) انظر «شرح النووي» (٦/ ٥٧).

إنّ صلاتي ونُسكي: النُّسُك: الطاعة والعبادة وكل ما تُقرِّب به إلى الله(١).

ومحياي ومماتي: أي: حياتي وموتي.

وأنا أوّل المسلمين: قال شيخنا في التعليق: «هكذا في أكثر الروايات وفي بعضها: «وأنا من المسلمين»، والظاهر أنه من تصرُّف بعض الرواة، وقد جاء ما يدلّ على ذلك، فعلى المصلّي أن يقول: «وأنا أوّل المسلمين»، ولا حرج عليه في ذلك؛ خلافاً لما يزعم البعض؛ توهُّما منه أنّ المعنى: «إنّي أوّل شخص اتصف بذلك، بعد أن كان الناس بمعزلٍ عنه»، وليس كذلك، بل معناه: بيان المسارعة في الامتثال لما أُمر به، ونظيره ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**﴾ وقال موسى ﷺ: ﴿**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

اللهم أنت الملك: الملِك: من أسماء الله الحُسنى، وهو مَلكُ جميع الخلق: إنسهم وجنّهم وغير ذلك(٢).

---

(١) «النهاية».

(٢) قاله الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير «سورة النّاس».

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : «الملك : الذي لا مَلك فوقه، ولا شيء إلاّ دونه»[1].

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « أي : المالك لجميع الأشياء، المتصرّف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة »[2].

لا إله إلا أنت: أي : لا معبود بحقّ إلا أنت، والعبادة : اسم جامع لكلّ ما يحبه الله ـ تعالى ـ ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة »، فينبغي أن تُصرف كلّها لله، وأَن يُفرد بها الربُّ ـ سبحانه ـ.

فيصلّي العبد لله ـ تعالى ذِكره ـ ويصوم له ، وينذر ويذبح له، ويدعوه ويستغيث به، ويرجوه، وينيب إليه . . . . . إلى غير ذلك من أنواع العبادات، ولا يصرف شيئاً منها لغيره؛ من نبيٍّ ، أو مَلَك، أو وليّ، أو صنم، أو كوكب، أو شجر. . . .

وقد وقع كثير من الناس في صرْف الطاعة لغير الخالق

---

(١) انظر « تفسير الطبري » « تفسير سورة الحشر » (آية ـ ٢٣).

(٢) انظر « تفسير ابن كثير » « تفسير سورة الحشر » (آية ـ ٢٣).

ـ سبحانه ـ كالطواف حول القبور والاستغاثة بالأولياء والصالحين، فهذه تنافي التوحيد الذي أرسل الله به الرسل، وتضادّ كلمة لا إله الا الله[1].

سبحانك وبحمدك: سبحانك أي: أُسبّحك تسبيحاً، أي: أنزّهك تنزّيهاً من كل النقائص، ومما لايليق بجلالك وعظمتك.

وبحمدك: أي: وبحمدك أبتدئ، وقيل بحمدك سبّحت قال في «النهاية»: «سبحانك اللهم وبحمدك» :أي: وبحمدك أبتدئ، وقيل بحمدك سبّحت، وقد تُحذف الواو وتكون الباء للتسبيب، أو للملابسة أي التسبيح مُسبَّبٌ بالحمد، وملابس له.

وجاء في «فيض القدير» (٦ / ١٨٩) : «وبحمده: في محلّ الحال: أي نسبّحه حامدين له».

أنت ربي وأنا عبدك: أي: أنت متفرّد في الخلق والرزق

---

(١) هناك عددٌ من المصنّفات في هذا الموضوع القيّم، وانظر «تحذير الساجد من اتخاذ القبور والأنبياء مساجد» لشيخنا ـ رحمه الله ـ.

والتدبير، وأنا لا أعبد إلا أنت، فلك العبادة وحدك، فكما أنه لا شريك لك في الملك والخلق؛ فلا أشرك معك في العبادة أحداً.

ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي: *أي اعترفت بالتقصير [والذنب] قدّمه على سؤال المغفرة أدباً؛ كما قال آدم وحوّاء: ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾.

واهدني لأحسن الأخلاق: أي: أرشِدني لصوابها، ووفقّني للتخلق به.

واصرف عنّي سيئها: أي: قبيحها*[1].

لبيك وسعديك: جاء في «النهاية»: في حديث الإهلال بالحج «لبَّيْك اللهمّ لبَّيْك» هو من التلْبية، وهي إجابة المنادي: أي: إجابتي لك يا ربّ، وهو مأخوذ من لَبَّ بالمكان وأَلبَّ به إذا أقام به، وألبَّ على كذا، إذا لم يُفارقه، أي: إجابةً بعد إجابة.

---

(١) ما بين نجمتين من «شرح النووي» (٦/ ٥٨).

وهو منصوب على المصدر بعامل لا يَظهر، كأنك قلت: أُلبُّ إلباباً بعد إلباب. والتَّلبية من لبَّيك كالتَّهليل من لا إله إلا الله.

وقيل معناه: اتجاهي وقَصْدي يا ربّ إليك، مِن قولهم: داري تَلُبُّ دارك: أي: تواجهُها. وقيل معناه: إخلاصي لك، من قولهم حَسَبٌ لُباب، إذا كان خالصاً محضاً ومنه لُبُّ الطعام ولُبابه.

وسعديك: قال الأَزهري وغيره: معناه مساعدةً لأمرك بعد مساعدة، ومتابعة لدينك بعد متابعة[1].

وجاء في «النهاية»: في حديث التَّلبية «لبيك وسعديك»: أي ساعَدْتُ طاعتك مساعدةً بعد مساعدة، وإسعاداً بعد إسعاد، ولهذا ثُنّي، وهو من المصادر المنصوبة بفعلٍ لا يظهر في الاستعمال.

والشرّ ليس إليك: قال شيخنا ـ رحمه الله ـ في التعليق على صفة الصلاة (ص٩٢): أي لا يُنسَب الشرّ إلى الله ـ تعالى ـ لأنه ليس في فِعْله ـ تعالى ـ شرّ، بل أفعاله ـ عزّ وجلّ ـ كلُّها خير؛ لأنها دائرة بين العدل والفضل والحكمة،

---

(١) قاله الإمام النووي ـ رحمه الله ـ.

وهو كلّه خير لا شرّ فيه، والشرّ إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إليه.

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «هو - سبحانه - خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته لا في خَلْقه وفِعْله، ولهذا تنزَّه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضْع الشيء في غير مَحِلِّه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كلّه، والشرّ وضْع الشيء في غير محله، فإذا وضُع في محِلّه لم يكن شراً، فعُلم أن الشرَّ ليس إليه... (قال): فإن قلت: فلِمَ خَلَقَه وهو شرّ؟

قلت: خَلْقُه له، وفِعْلُه؛ خير لا شرّ، فإنّ الخلق والفِعل قائم به - سبحانه - والشر يستحيل قيامه واتصافه به، وما كان في المخلوق من شرّ فلعدم اضافته ونسبته إليه، والفعل والخلق يضاف إليه فكان خيراً»، وتمام هذا البحث الخطير وتحقيقه في كتابه «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل»، فراجِعْه (ص ١٧٨- ٢٠٦).

أنا بك وإليك: يعني: أنت الخالق والرازق، وبك آمنت، وبك أحيا، وبك أموت وإليك المرجع والمآب، وأنا

باذلٌ نفسي وما أملك لك، وإليك انتمائي وولائي، ولا حول ولا قوّة إلا بك.

عن صهيب - رضي الله عنه - قال: «كان إذا صلّى همَس، فقال: أفطنتم لذلك؟ إني ذكَرت نبيّاً من الأنبياء أعطي جنوداً من قومه، فقال: من يكافئ هؤلاء؟ أو مَن يقاتل هؤلاء! أو كلمة شبهها.

فأوحى الله إليه أن اختر لقومك إحدى ثلاث: أنْ أُسلِّط عليهم عدّوهم، أو الجوع، أو الموت، فاستشار قومه في ذلك؟ فقالوا: نكِل ذلك إليك، أنت نبيّ الله.

فقام فصلّى، وكانوا إذا فزعوا فزعوا إلى الصلاة، فقال: يارِبّ أمّا الجوع أو العدو؛ فلا ولكن الموت، فسلَّط عليهم الموت ثلاثة أيام، فمات منهم سبعون ألفاً، فهمْسي الذي ترون أني أقول: اللهم بك أقاتل، وبك أصاول، ولا حول ولا قوّة إلا بك»[1].

---

(١) أخرجه ابن نصر في «الصلاة» وقال شيخنا - رحمه الله - في «الصحيحة» (١٠٦١) وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه الإمام أحمد (٤ / ٣٣٣)، (٦ / ١٦) من طريقين آخرين عن سليمان بن المغيرة به، ومن طريق حماد بن سلمة: ثنا ثابت به=

تباركْتَ: تبارَكَ: تفاعَل من البركة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ **تباركَ الذي نزّل الفُرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً** ﴾[1]. قاله ابن جرير ـ رحمه الله ـ.

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: « ﴿ **تبارك** ﴾ وهو تفاعل من البركة المستقرّة الدائمة الثابتّة ».

ويتضمَن المعنى كثرة بركته ـ سبحانه ـ وبركة اسمه؛ إِذ كُلّ خيرٍ منه ومن ذِكر اسمه.

وتعالَيْتَ: تعاليت: قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **سبحانه وتعالى عمّا يصفون** ﴾[2]: تنزّه الله وعلا

= نحوه، وفيه أن الصلاة هي صلاة الفجر، وأن الهمس كان بعدها، وفي أيام حنين، وروى منه الدارمي (٢ /٢١٧) قوله: « اللهم بك أحاول، وبك أُصاول، وبك أقاتل » وسندهما صحيح على شرط مسلم. وانظر إِن شئت « الصحيحة » (٢٤٥٩).

ومعنى أُصاول: أسطو وأقهر والصولة: الحملة والوثبة « النهاية ».

(١) الفرقان: ١.

(٢) الأنعام: ١٠٠.

وارتفع؛ عن الذي يصفه به هؤلاء الجَهلَة... وقال في موطنٍ آخر ﴿ وتعالى ﴾ : تفاعل من العلو والارتفاع »، وقال ابن كثير - رحمه الله - :« .... وتعاظَمَ عما يَصِفُه هؤلاء الجَهلَة ».

والمتعال[1] : هو المستعلي على كل شيءٍ بقدرته، وهو المتفاعل من العُلوّ...[2].

● **سبحانك اللهم وبحمدك** : سبحانك : أي : أُسبّحك تسبيحاً، أي أنزّهك تنزيهاً من كل النقائص، ومما لا يليق بجلالك وعظمتك[3].

وبحمدك : قال في « النهاية » :« سبحانك اللهمّ وبحمدك » أي : وبحمدك أبتدئ وقيل بحمدك سبّحت، وقد تُحذف الواو وتكون الباء للتسبيب، أو للملابسة أي

---

(١) انظر للمزيد من الفائدة « مجموع الفتاوى » (١٦ / ١٢٣).

(٢) انظر « تفسير الطبري » سورة الرعد (آية - ٩). وانظر للمزيد إن شئت « تفسير الطبري »و« ابن كثير » في المواضع الآتية على سبيل المثال - : الحج :٦٢ ، سبأ : ٢٣ ، لقمان : ٣٠ .

(٣) تقدّم.

التسبيح مُسبَّبٌ بالحمد، وملابس له .

وجاء في « فيض القدير » (٦ / ١٨٩) : « وبحمده : في محلّ الحال : أي نسبّحه حامدين له »[١] .

تبارك اسمك : أي : كثُرت بركة اسمك؛ إذ وُجد كل خير من ذِكر اسمك .

وتعالى جَدُّك : أي : علا جلالُك وعظمتك[٢] .

ولا إله غيرك : لا معبود بحقّ إلا أنت، وتقدم شيء من التفصيل في معناها .

وقد ورد عددٌ من الأحاديث في فضل « سبحان الله وبحمده » .

من ذلك حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن هالَهُ الليل أن يكابِده، أو بخِل بالمال أن يُنفقَه، أو جَبُنَ عن العدوّ أن يقاتلَه، فَلْيُكْثِر مِنْ (سبحان الله وبحمده)؛ فإنّها أحبُّ إلى الله من جَبَلِ

---

(١) تقدَّم غير بعيد .

(٢) وتقدَّم .

ذَهَبٍ ينفقهُ في سبيل اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ»[١].

وعن سليمانَ بن يَسارٍ عن رَجُلٍ من الأنصار ؛ أن النبيَّ ﷺ قال: « قال نوحٌ لابنِه : إنِّي مُوصيكَ بِوَصِيَّةٍ وقاصِرُها لِكَيْ لا تنساها؛ أوصيكَ باثْنَتينِ ، وأَنهاك عنِ اثْنتينِ:

أمَّا اللَّتانِ أوصيكَ بِهما؛ فيَستبشرُ اللهُ بهما وصالحُ خَلقهِ، وهما يُكْثِرانِ الوُلُوج على اللهِ:

أوصيك بـ (لا إله إلا الله) ؛ فإنَّ السمواتِ والأرضَ لوْ كانتا حَلقةً قَصَمَتْهُما، ولو كانتا في كِفَّةٍ وَزَنَتْهُما.

وأُوصيك بِـ (سبحانَ الله وبحمده) ؛ فإنَّهما صلاةُ الخَلقِ وبهما يُرْزقُ الخلقُ، ﴿ **وإنْ مِنْ شَيءٍ إلا يُسَبحُ بحمدِهِ ولكن لا تَفقهون تسبيحَهم إنهُ كانَ حَليماً غَفُوراً** ﴾.

وأمَّا اللّتان أنهاكَ عنهما؛ فيحتجِبُ اللهُ منهما وصالحُ خَلْقِهِ: أَنهاك عنِ الشِّركِ والكِبْرِ»[٢].

---

(١) أخرجه الطبراني وغيره وصححه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في « صحيح الترغيب والترهيب » (١٥٤١).

(٢) أخرجه البزّار وغيره وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في « صحيح الترغيب والترهيب » (١٥٤٣) وانظر للمزيد من التخريج والفوائد « السلسلة الصحيحة » برقم (١٣٤)

● **الله أكبر كبيرا**: منصوب بإضمار فِعل؛ كأنه قال: أكبّر كبيراً أو تكبيراً [1].

وسبحان الله بكرةً وأصيلاً: البُكرة: أول النهار إلى طلوع الشمس. وفي «المحيط»: «البُكرة: الغُدوة، وهي البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس».

والأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب. «لسان العرب».

وقوله ﷺ: «لقد رأيت اثنَي عشر مَلكاً؛ يبتدرونها أيهم يرفعها».

يبتدرونها: أي: يعجلون ويستبقون.

●**اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض**: أي: منوّرهما وهادي أهل السماوات والأرض.

قال ابن القيم -رحمه الله- في «التفسير القيّم»: «وقد فُسّر قوله -تعالى-: ﴿**اللّهُ نُورُ السمَاوات والأرض**﴾. بكونه مُنوّر السماوات والأرض وهادي أهل السماوات و الأرض؛ فبنوره اهتدى أهل السماوات والأرض، وهذا إنّما هو فِعله،

---

(١) «النهاية».

وإلاّ فالنور الذي هو من أوصافه قائمٌ به، ومنه اشتقّ له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحُسنى» .

أنت قيّم السماوات والأرض . . . : وفي رواية : أنت قيّام السماوات والأرض، وفي القرآن الكريم ﴿ **الحيّ القَيّوم** ﴾ .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : «أي المقيم لغيره ، وكان عمر يقرأ القيّام» فجميع الموجودات مفتقرة إليه، وهو غنيٌّ عنها، ولا قِوام لها بدون أمره، كقوله : ﴿ **ومِن آياتِهِ أن تَقومُ السَمَاءُ والأرضُ بِأمرِهِ** ﴾[1] .

والقَيوم : ـ كما قال أهل العلم ـ : هو القائم على كلّ شيء، ومعناه : مدبّر أمر خلقه .

لك أسلمت : أي : استسلمتُ وانقَدْتُ لأمرك ونهيك .

وإليك أنبْتُ : أي : أطعتُ، ورجعتُ إلى عبادتك، أي : أقبلت عليها .

وبك خاصمتُ : أي : خاصمتُ من عاند فيك، و كفر بك؛ بما أنعمْتَ عليّ من براهين ، وقمعْتُه بالحُجّة، وتغيير

---

(١) الروم ٢٥ .

المنكر حسب الاستطاعة؛ باليد أو اللسان أو القلب.

وإليك حاكمت: أي: كلّ من جحَد الحقّ؛ وعاند فيه واستكبر عنه حاكمتُه إليك، وجعلتُك الحاكم بيني وبينه، لا غيرك؛ ممّا كانت تُحاكِم إليه الجاهلية وغيرُهم؛ مِن صنم وكاهن ونار وشيطان وغيرهما، فلا أَرضى إلا بحُكمك ولا أعتمد غيره [1].

اغفر لي ما قدَّمت: أي: قبل هذا الوقت.

وما أخّرت: أي عنه.

وما أسررت وما أعلنت: **أي**: أخفيتُ وأظهرتُ، أو ما حدَّثْتُ به نفسي، وما تحرّك به لساني [2].

أنتَ المقدِّم وأنتَ المؤخِّر، وأنت على كل شيء قدير:

قال بعض العلماء: «أنت المقدِّم: أي: من تشاء إلى الجنَّة بالتوفيق للعمل الصالح، وأَنت المؤخر: أي: لمن تريد إلى النَّار بالخذلان».

جاء في «النهاية»: «المقدّم: هو الذي يقدّم الأشياء، ويضعها في مواضعها، فمن استحقّ التقديم قدَّمه، والمؤخر:

---

(١) «شرح النووي» بتصرّف.

(٢) «الفتح» (٣/ ٥).

هو الذي يؤخّر الأشياء، ويضعها مواضعها » .

قلتُ : وهذا أرجح فيما رأيت وهو أشمل وأعمّ من غيره، واللّه - تعالى - أعلم .

أنت إلهي : أي : أنت معبودي لا أحد غيرك ، فأُفردك بكل أنواع العبادة، لا أشرك معك أحداً .

لا حول ولا قوة إلا بك : الحول ها هنا الحركة ، يُقال : حال الشخص يحول : إذا تحرَّك؛ المعنى : لا حركةَ ولا قُوة إلا بمشيئة الله - تعالى - وقيل الحول : الحيلة، والأول أشبه . « النهاية » .

وعن سعد بن عبادة - رضي الله عنه - « أن أَباه دفعه إلى النبي ﷺ يخدمه، قال : فمرَّ بي النبيّ ﷺ ، وقد صلّيت ، فضربني برجله وقال : ألا أدُلّك على بابٍ من أبوابِ الجنة ؟ لا حول ولا قوّة إِلا بالله » [1] .

وعن أبي موسى الاشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال له : « ألا أدُلّك على كلمةٍ من كنز الجنة؟

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي والحاكم، وصححه شيخنا - رحمه الله - في « السلسلة الصحيحة » (١٧٤٦) .

قلت : بلى قال : لا حول ولا قوة إلا بالله »[1].

وفي رواية : « ألا أعلّمك ـ أو ألا أَدلّك على كلمة مِن تحت العرش؛ من كنز الجنّة ؟تقول :« لا حول ولا قُوّة إلا بالله : فيقول الله : أسلم عبدي واستسلم »[2].

وورد في بعض النصوص أن « لا حول ولا قُوّة إلا بالله » من غِراس الجنّة .

فعن ابن عمر قال : قال رسول لله ﷺ : « أكثِروا منْ غِراس الجنّة؛ فإِنّه عذبٌ ماؤها، طيِّب تُرابها، فأكْثِروا مِن غِراسها » .

قالوا : يا رسول الله! وما غِراسُها . قال : « ما شاءَ الله ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ »[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤) .

(٢) أخرجه الحاكم وغيره، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في « صحيح الترغيب والترهيب » برقم (١٥٨٠) .

(٣) أخرجه الطبراني وغيره، وحسّنه شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ في « صحيح الترغيب والترهيب » (١٥٨٤) لغيره وانظر الحديث (١٥٨٣) .

● **اللهم رب جِبرائيل وميكائيل وإسرافيل**: قال العلماء: خصَّهم بالذِّكر وإنْ كان اللهُ ـ تعالى ـ ربَّ كلِّ المخلوقات؛ كما تقرّر في القرآن والسنة من نظائره؛ من الإضافة إلى كلِّ عظيم المرتبةِ، وكبيرِ الشان دون ما يُستحقر ويُستصغر، فيقال له ـ سبحانه وتعالى ـ: ربّ السماوات والأرض، ربّ العرش الكريم، وربّ الملائكة والروح، ربّ المشرقين وربّ المغربين، ربّ الناس، ملك الناس، إله الناس، ربّ العالمين، ربُّ كل شيء ربُّ النبيّين، خالق السماوات والأرض، فاطر السماوات والأرض، جاعل الملائكة رُسُلاً.

فكل ذلك وشبهه وصْفٌ له سبحانه بدلائل العظمة وعظيم القدرة والملك، ولم يُستعمل ذلك فيما يُحتَقر ويُستصغر فلا يقال: ربُّ الحشرات! وخالقُ القردة والخنازير! وشبه ذلك على الإفراد! وإنما يقال: خالق المخلوقات، وخالق كل شيء، وحينئذ تدخل هذه في العموم، والله أعلم. (١)

فاطر السماوات والأرض: أي: مبدعهما وخالقهما على غير مثالٍ سابق.

---

(١) «شرح النووي» (٦/ ٥٧).

عالم الغيب والشهادة: أي: السر والعلانية [1].

أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون: أي: في دنياهم؛ ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم.

وهذا امتثال لأمره سبحانه: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾[2].

اهدني لما اختُلف فيه من الحقّ بإذنك: بإذنك: بتوفيقك وتيسيرك.

إنك تهدي مَن تشاء إلى صراطٍ مستقيم: أي: أَنت تُرشد مَن تشاءُ من خلْقِك بتوفيقك؛ فتهديه إلى دين الإسلام، وهو الصراط المستقيم، والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه [3].

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» «سورة الزمر» (آية ٤٦).

(٢) الزمر: ٤٦.

(٣) انظر تفسير الإمام الطبري - رحمه الله - وهو المسمّى «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» «سورة النور: ٤٦».

كان يكبّر عشراً ، ويحمد عشراً ، ويسبّح عشراً ، ويهلّل عشراً ، ويستغفر عشراً ، ويقول :**اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني عشراً ويقول: اللهم : إنّي أعوذ بك من الضيق يوم الحساب عشراً** : أي: شدائد أَحوال يوم القيامة ، وسكرات أهوالها [١].

قلت: في هذا الدعاء أجرٌ عظيم وثواب جزيل.

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «جاء رجُلٌ بدويٌّ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! علّمني خيراً؟ قال: قُل: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر). قال: وَعَقَدَ بيده أربعاً؛ ثُمَّ رتَّبَ فقال: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، ثم رجع، فلمَّا رآه رسول الله ﷺ تبَسَّم، وقال: تَفكَّرَ البائِسُ. فقال: يا رسول الله! (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، هذا كلُّهُ لله، فما لي؟ فقال رسول الله ﷺ :إذا قلت: (سبحان الله)؛ قال الله: صدقت. وإذا قلت: (الحمد لله)؛

(١) انظر «عون المعبود» (٢ / ٣٣٣).

قـال الله : صـدقت . وإذا قلت : (لا إلـه إلا الله) ؛ قـال الله : صدقت . وإذا قلت : (الله أكبر) ؛ قال الله : صدقت . فتقول : (اللهمَّ اغفر لي) ، فيقول الله : قد فَعَلْتُ . فتقول : (اللهمَّ ارْحمني) ؛ فيقول الله : قد فَعَلْتُ . وتقول : (اللهمَّ ارْزُقني) ؛ فيقول الله : قد فَعَلْتُ »[1] .

وعن سلمى أمِّ بني أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ؛ أنَّها قالت : يا رسول الله! أخبرني بكلمات ، ولا تُكْثِر عليَّ؟ فقال : « قولي : (الله أكبرُ) عشر مراتٍ ، يقول الله : هذا لي . وقولي : (سبحان الله) عشر مراتٍ ، يقول الله : هذا لي . وقولي : (اللهمَّ اغْفر لي) ، يقولُ : قد فَعَلْتُ . فتقولين عشر مرَّات ، ويقول : قد فَعَلْتُ »[2] .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي ، وحسنه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في « صحيح الترغيب والترهيب » (١٥٦٤) .

(٢) أخرجه الطبراني ، وصححه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في « صحيح الترغيب والترهيب » (١٥٦٦) .

اللهُ أكبر ثلاثاً ذو الملكوت والجبروت والكِبرياء والعظمة.

ذو الملكوت والجبروت : اسمان مبنيّان من الجبر والملك، قاله ابن الأثير، وقال شيخنا نقلاً عن بعض العلماء ـ رحم الله الجميع ـ : « هما مبالغة من (الجبر) : وهو القهر و(الملك) : وهو التصرّف، أي : صاحب القَهر والتصرُّف البالغ كلٌّ منهما غايته » انتهى.

والكِبرياء[1] : قال الله تعالى ﴿ **وله الكِبرياءُ في السماواتِ والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾[2] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « قال مجاهد : [الكبرياء] يعني : السلطان أي : هو العظيم الممجّد، الذي كلّ شيء خاضعٌ لديه فقير إليه، وقد ورَد في الحديث الصحيح : « يقول الله تعالى : العظمة إزاري والكِبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما أسكنته ناري »[3] .

---

(١) انظر إن شئت المزيد من الفائدة ما قاله شيح الاسلام ـ رحمه الله ـ في « مجموع الفتاوى » (١٦ / ١١٢) .

(٢) الجاثية : ٣٧ .

(٣) أخرجه مسلم : ٢٦٢ .

والعظمة : العظيم : هو كل الذي كل شيء دونه ، فلا أعظم منه [1] ، وهذا ماضٍ في ذاته وأسمائه وصفاته - سبحانه -.

وقال شيخ الاسلام - رحمه الله - في « مجموع الفتاوى » (١٠ / ٢٥٣) : « وفي قوله: (الله أكبر) إثبات عظمته ، فإنّ الكِبرياء تتضمّن العظمة ، ولكنّ الكِبرياء أكمل » .

وذكر - رحمه الله - الأحوال والأزمنة والأمكنة التي شُرع فيها التكبير .

فهو مشروعٌ في المواضع الكبار لكثرة الجمع أو لعظمة الفعل أو لقوة الحال [2] .

وقال في موضع آخر :« فجماع هذا أن التكبير مشروع عند كل أمر كبير من مكان وزمان وحال ورجال ، فتبيّن أن الله أكبر؛ لتستولي كبرياؤه في القلوب على كبرياء ما سواه، ويكون له الشرف على كل شرف » [3] .

---

(١) انظر « تفسير الطبري » سورة البقرة: (آية : ٢٥٥) .

(٢) انظر « مجموع الفتاوى » (٢٤ / ٢٢٩) .

(٣) انظر « مجموع الفتاوى »(٢٤ / ٢٣٠) .

الاستعاذة

كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله تعالى فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من هَمزِه ونفْخه ونفْثِه[1].

وكان أحياناً يزيد فيه؛ فيقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان ...»[2].

أعوذ بالله: الله: هو الاسم الأعظم؛ من أسماء الله الحسنى[3].

الله: هو الذي يأله كلُّ شيء ويعبده كلّ خلق، فالله ذو

---

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه والدارقطني، والحاكم وصححه هو وابن حبان والذهبي، وانظر « صفة الصلاة » (ص ٩٦) و«الإرواء» (٣٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي بسند حسن ، وانظر « صفة الصلاة » (ص ٩٦).

(٣) سيأتي تفصيل هذا في تفسير سورة البقرة من كتابي « موسوعة التفسير الميّسرة » إن شاء الله ـ تعالى ـ.

الألوهية والمعبودية على خلْقه أجمعين[١] .

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ : ولا شكّ أن « التأليه » التفعّل مِن ألَه يألهُ ، وأنّ معنى « أله » إذا نُطق به : عُبد الله[٢] .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في « التفسير القيّم »(ص ٨) : « هو المألوه المعبود » .

وقال أيضاً : « . . .فاسم « الله » دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى ، والصفات العليا بالدلالات الثلاث »[٣] .

مثال ذلك : « الخالق » يدلّ على ذات الله وعلى صفة الخلق بالمطابقة ، ويدل على الذات وحدها ، وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن ، ويدلّ على صفتي العلم والقدرة بالالتزام[٤] .

---

(١) انظر ما قاله الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ في « تفسيره » (١ / ٦٨) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) أي دلالة المطابقة والتضمّن واللزوم ، انظر « التفسير القَيِّم » (ص ٣٠ ، ٣١) وذكرها ـ رحمه الله ـ في « مدارج السالكين » .

(٤) انظر « القواعد المثلى » لسماحة الشيخ العثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ .

والاستعاذة: هي الالتجاء إلى الله ـ تعالى ـ من شرّ كلّ ذي شرّ، والعياذة تكون لدفع الشرّ، واللياذ يكون لطلب جلب الخير؛ كما قال المتنبّي:

يا مَنْ أَلُوذُ به فيما أُؤمِّلُهُ
ومَنْ أعوذُ بهِ ممَّن أُحَاذِرُهُ

لا يَجْبُرُ الناسُ عظماً أنت كاسِرُهُ
ولا يَهِيضُونَ[1] عَظْماً أنتَ جابِرُهُ

ومعنى: **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**: «أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرّني في ديني أو دنياي، أو يصدّني عن فِعْل ما أُمِرْت به، أو يحثّني على فعل ما نُهيت عنه؛ فإنّ الشيطان لا يكفّه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أمَرَ الله ـ تعالى ـ بمصانعة شيطان الإنس ومداراته؛ بإسداء الجميل إليه؛ ليردّه طبعه عمّا هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شياطين

---

(١) أي: يكسرون.

الجنّ في ثلاث آيات من القرآن . . . »[1] .

السميع العليم: من أسماء الله الحسنى ، والسمع صفة من صفاته العلى، وكذا العلم.

من الشيطان: قال العلماء: الشيطان: واحد الشياطين على التكثير، والنون أصليّة؛ لأنّه مشتقّ من شطن؛ إذا بعُد عن الخير، وشطنت داري؛ أي: بعُدت.

وجاء في «تفسير ابن كثير» ـ بحذف ـ: «الشيطان في لغة العرب مشتقّ من: شطن؛ إذا بعُد؛ فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير. وقيل: مشتقّ من شاط؛ لأنّه مخلوق من نار . . .

الرجيم: فعيل بمعنى مفعول؛ أي: أنّه مرجوم مطرود عن الخير كلّه.

وقيل: رجيم بمعنى راجم؛ لأنّه يرجم الناس بالوساوس. والأول أشهر وأصحّ.

من همزه : قال في «النهاية»: «أمّا همزُهُ فالمُوتَةُ،

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» بحذف.

الهمز: النّخس والغمز، وكلّ شيء دفعته فقد همزته، والموتة: الجنون، والهمز أيضاً: الغِيبة والوقيعة في النّاس وذِكر عيوبهم».

قال في «اللسان»: «قال أبو عبيد: الموتة: الجنون». وفسّرها في «المحيط»: بالجنون، وقال: لأنّه يحصل من نخْسه وغمزْه.

ونفخه: كِبره؛ لأنّ المتكبر يتعاظم ويجمع نفَسه؛ فيحتاج أن ينفُخ.[1]

وقد بيّن رسول الله ﷺ أنّ الكبر هو: بَطَرُ الحقّ - أي دفْعه وردُّه - وغمْط الناس - أي احتقارهم -؛ كما في حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النّبيّ ﷺ قال: «لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّةٍ من كِبْرٍ».

قال رجل: إنّ الرّجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً؟! قال: إنّ الله جميلٌ يحب الجمال، الكِبْرُ

---

(١) «النهاية».

بطَر الحق وغمط الناس»[1].

والمتكبر يريد أن يعلو بنفسه على الله ـ تعالى ـ بردّ الشّرع والدّين وقول الحقّ من كتاب الله ـ سبحانه ـ وسُنّة رسوله ﷺ، أو يعلو على الناس فيسخر منهم ويحتقرهم ويزدريهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَلقدْ فتنَّا قَبلهُم قَوْمَ فرعَون وَجَاءَهُم رَسُولٌ كَرِيمٌ. أنْ أدُّوا إليّ عبادَ الله إنّي لَكُم رسُولٌ أمِينٌ . وأَن لا تَعْلُوا علَى الله إنّي آتيكُم بسلطانٍ مُبينٍ** ﴾[2].

قال ابن كثير في «تفسيره»: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وأَن لا تَعْلُوا علَى الله** ﴾ :أي: لا تستكبروا عن اتّباع آياته، والانقياد لحُججه، والإيمان ببراهينه؛ كقوله ـ عزّ وجلّ ـ:

﴿ **إنّ الَّذينَ يَستَكبِرُونَ عن عِبَادَتي سَيَدخُلُون**

---

(١) أخرجه مسلم: ٩١.

(٢) الدخان: ١٧ ـ ١٩.

جَهَنَّم دَاخِرِين ﴾[1].

وليس بخافٍ علينا أن كُفر إبليس نابع من الكبر والإباء[2]؛ وذلك حين قال: ﴿**أنَا خَيْرٌ مِّنه خَلَقْتَني مِنْ نَّارٍ وخَلَقْتَهُ من طينٍ**﴾[3].

ونفثه: النفث: الشّعر؛ لأنّه يُنفَث من الفم. «النهاية».
ويُقصد به الشّعر المذموم؛ لأنّ الضمير المتصل في هذه الكلمة عائد إلى الشيطان الرجيم؛ إذ النّبيّ ﷺ قال: «إنّ من الشّعر حكمة»[4].

ويُقال: نفَث في أذنه: ناجاه، ويُقال: هذه نفثة مصدور، ما يخفّف به عن صدره، ويروّح به عن نفسه.
قلت: وممّا يروّح الشيطان به عن نفسه: أن يغوي المسلم في لفظه وقوله ونُطقه.

---

(١) غافر: ٦٠.

(٢) انظر تقسيم ابن القيم ـ رحمه الله ـ للكفر في «مدارج السالكين» (١/ ٣٣٧).

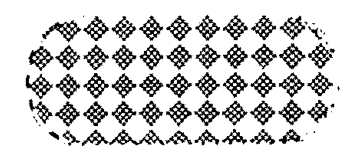
(٣) الأعراف: ١٢.

(٤) أخرجه البخاري: ٦١٤٥، وغيره.

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **ومن شرّ النَّفَّاثات في العقد** ﴾ :

« وهذا الشر هو شرّ السّحر؛ فإنّ ﴿ **النّفّاثات في العقد** ﴾ : هنّ السواحر اللاتي يعقدن الخيوط، وينفثن على كل عقدة، حتى ينعقد ما يُرِدن من السّحر. والنفث: هو النفخ مع ريق، وهو دون التَّفل، وهو مرتبة بينهما »[1].

والاستعاذة من الهمز والنفخ والنفث استعاذة من كل شرّ، لأن الهمز مختصٌّ بالعقل، والنفخ مختصٌّ بالنفس، والنفث مختصٌّ باللسان. والله ـ تعالى ـ أعلم.



---

(١) انظر « التفسير القيّم » (ص٥٦٣).

تفسير سورة الفاتحة

كان رسول الله ﷺ يقرأ « بسم الله[1] الرحمن الرحيم » .

---

(١) قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ: وإنْ قال لنا قائل :ولمَ قدَّم اسم الله الذي هو الله؛ على اسمه الذي هو الرحمن، واسمه الذي هو الرحمن على اسمه الذي هو الرحيم؟

قيل : لأنّ من شأن العرب إذا أرادوا الخبر عن مُخبَر عنه ؛ أن يقدموا اسمه، ثم يُتبعونه صفاته ونعوتَه .

وهذا هو الواجب في الحكم: أن يكون الاسم مُقدَّماً قبل نعته وصفته، ليعلَم السامعُ الخبرَ عمن الخبر، فإذا كان ذلك كذلك، وكان لله ـ جلَّ ذِكْره ـ أسماءٌ قد حرم على خلقه أن يتسمّوا بها خصَّ بها نفسه دونهم، وذلك مثل « الله » و« الرحمن » و « الخالق »؛ وأسماء أباح لهم أن يسمي بعضهم بعضاً بها؛ وذلك كالرحيم والسميع، والبصير، والكريم، وما أشبه ذلك من الأسماء ؛ كان الواجب أن يقدم أسماءه التي هي له خاصة دون جميع خلقه، ليعرف السامع ذلك من توجه إليه الحمد والتمجيد، ثم يتبع ذلك بأسمائه التي قد تسمّى بها غيره، بعد علم المخاطب أو السامع من توجه إليه ما يتلو ذلك من المعاني .

فبدأ الله ـ جلّ ذكره ـ باسمه الذي هو الله؛ لأن الألوهية ليست =

بسم الله الرحمن الرحيم : يعني أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، أو أقرأ متبدئاً بتسمية الله، أو أبتدئ قراءتي بتسمية الله .[1]

يعني أنك حين تقول « بسم الله » فكأنك تقول :

بسم الله الأحد .

= لغيره جلّ ثناؤه بوجه من الوجوه، لا من جهة التسمّي به ، ولا من جهة المعنى، وذلك أنّا قد بينّا أنّ معنى الله هو المعبود، ولا معبود غيره -جلّ جلاله - وأن التسمّي به قد حرّمه الله - جلّ ثناؤه - وإن قصد المتسمي به ما يقصد المتسمي بسعيد وهو شقيّ، وبحَسَن وهو قبيح .
أو لا ترى أن الله - جلّ جلاله - قال في غير آية من كتابه : ﴿ **أءلهٌ مَعَ الله** ﴾ فاستكبر ذلك من المقرّ به، وقال - تعالى - في خصوصه نفسه بالله وبالرحمن ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللهَ أوِ ادعُواْ الرَّحمَنَ أيَّامَا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْمَاءُ الحُسْنَى** ﴾[الاسراء : ١١٠] ، ثم ثنّى باسمه، الذي هو الرحمن، إذ كان قد منع أيضاً خلقه التسمي به، وإنْ كان من خلقه من قد يستحق تسميته ببعض معانيه، وذلك أنه قد يجوز وصف كثير؛ ممن هو دون الله من خلقه ببعض صفات الرحمة، وغير جائز أن يستحق بعض الألوهية أحد دونه، فلذلك جاء الرحمن ثانياً لاسمه الذي هو « الله » .

(١) ملتقط من « تفسير الطبري » - رحمه الله - .

بسم الله الأعلى .

بسم الله الأكرم .

بسم الله السميع .

بسم الله البصير .

بسم الله الحسيب .

بسم الله الحي .

بسم الله القيوم .

بسم الله الخالق .

بسم الله الرزاق .

بسم الله العظيم .

بسم الله اللطيف .

بسم الله النصير .

بسم الله الوهاب .

بسم الله المولى .

. . إلخ .

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ « فإنْ قال قائل: فإذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة، فما وجه تكرير ذلك وأحدهما مؤدٍ عن معنى الآخر؟

قيل له: ليس الأمر في ذلك على ما ظننت، بل لكل كلمة منهما معنى لا تؤدي الأخرى منهما عنها».

وقد أفاض الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ في ذلك وخلاصة قوله: إن ربّنا ـ جل ثناؤه ـ رحمنُ جميع خلقه في الدنيا والآخرة، ورحيم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة.

أمّا أنّه رحمن جميع خلقه في الدنيا؛ فذلك من الإفضال والإحسان للمؤمنين والكفار؛ في البسط في الرزق، وتسخير السحاب بالغيث، وإخراج النبات من الأرض، وصحة الأجسام والعقول، وسائر النعم التي لا تُحصى؛ التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون.

وأمّا أنّه رحمن جميع خلقه في الآخرة، فتسويته بين جميعهم ـ جلّ ذِكره ـ في عدْله وقضائه، فلا يظلم أحداً منهم مثقال ذرَّة، وإنْ تك حسنةً يضاعفها ويؤت من لدنه

أجراً عظيماً، ويُوفي كلّ نفسٍ ما كسبت.

وأما أنّه رحيم المؤمنين خاصّة في الدنيا؛ فبما خصّهم في عاجل الدنيا؛ بما لطف بهم في توفيقه إياهم لطاعته، والإيمان به وبرسله، واتباع أمره، واجتناب معاصيه؛ ممّا خذَل عنه من أشرك به فكفر، وخالف ما أمره به، وركب معاصيه.

وأما أنّه رحيم المؤمنين في الآخرة؛ فبما خصَّهم بما أعدّ في آجل الآخرة؛ في جناته من النعيم المقيم والفوز المبين؛ دون من أشرك وكفَر به.

●الحمد لله ربّ العالمين:

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: «ومعنى ﴿الحَمْدُ للهِ﴾ الشُّكر خالصاً لله ـ جل ثناؤه ـ دون سائر ما يُعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النِّعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسَط لهم

في دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش؛ من غير استحقاق منهم لذلك عليه، ومع ما نّبهم عليه، ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود؛ في دار المقام في النعيم المقيم. فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخراً».

قال ابن القيّم - رحمه الله - في «مدارج السالكين» (١/ ٣٥): «في ذكر هذه الأسماء بعد الحمد، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها؛ ما يدل على أنه محمود في إلهيّته محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في مُلكه، وأنه إلهٌ محمودٌ وربٌّ محمود ورحمان محمود ومَلِك محمود. فله بذلك جميع أقسام الكمال».

الفرق بين الحمد والشكر:

جاء في «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٣٣): «وسئل عن «الحمد والشكر» ما حقيقتهما؟ هل هما معنى واحد، أو معنيان؟ وعلى أيّ شيء يكون الحمد؟ وعلى أي شيء يكون الشكر؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين.

« الحمد » يتضمن المدح، والثناء على المحمود بذكر

محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد ، أو لم يكن ، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور الى الشاكر ، فمن هذا الوجه الحمد أعمّ من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان ، فإنّ الله ـ تعالى ـ يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى، والمثل الأعلى ، وما خلقه في الآخرة والأولى ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **الحَمْدُ لله الّذي خَلَقَ السَمَاوات والأرضَ وجَعَل الظُلُمَات والنُّور** ﴾ وقال :﴿ **الحَمْدُ لله الّذي لَهُ مَا في السَمَاوات ومـا في الأرضِ وله الحـمْدُ في الآخـرة** ﴾. وقال :﴿ **الحَمْدُ لله فاطر السَمَاوات والأرضِ جاعلِ الملائكة رسُلاً . أولى أجنِحَةٍ مثنِى وثُلاث ورُباع. يَزيدُ في الخلَقَ ما يَشَاء** ﴾ .

وأمّا « الشكر » فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخصّ من الحمد من هذا الوجه؛ لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، كما قيل :

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً :

يدي، ولساني والضميرَ المحجبا

ولهذا قال ـ تعالى ـ ﴿ **اعملوا آل داود شكرا** ﴾ .

والحمد إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه

الشكر أعمّ من جهة أنواعه،والحمد أعمّ من جهة أسبابه، وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها» والله أعلم. انتهى.

وقال بعض العلماء: إنّ الحمد لله ـ سبحانه ـ يكونْ على السراء والضرّاء، أمّا الشكر فإنه يكونُ في معرضِ ذِكْر النعمةِ حصْراً.

ربّ[1] **العالمين: الرب**: هو المالك المتصرف، ويُطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حقّ الله ـ تعالى ـ.

ولا يُستعمَل الربّ لغير الله؛ بل بالإضافة تقول: ربّ الدار، ربّ كذا،وأمّا الرب؛ فلا يقال إلا لله ـ عز وجل ـ.....[2].

---

(١) انظر إن شئت كتاب ابن القيم ـ رحمه الله ـ «مدارج السالكين (١/ ٣٤) ارتباط الخلق والأمر بهذه الأسماء الثلاثة: «الله الرب، الرحمن».

(٢) انظر «تفسير ابن كثير».

العالمين: كلّ موجود سوى الله ـ عزّ وجلّ ـ.

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ : « والعالَمون جمع عالَم، والعالَم جمعٌ لا واحد له من لفظه، كالأنام والرهط والجيش، ونحو ذلك من الأسماء التي هي موضوعات؛ على جماع لا واحد له من لفظه.

والعالَم اسم لأصناف الأمم، [في السماوات والأرض ومن في البر والبحر] [1].

وكل صنف منها عالَم، وأهل كل قرن من كل صنف منها عالَم ذلك القرن وذلك الزمان، فالإنس عالَم، وكلّ أهل زمانٍ منهم عالَم ذلك الزمان، والجنّ عالَم، وكذلك سائر أجناس الخلق، كل جنس منها عالَم زمانه. ولذلك جُمع فقيل: « عالَمون » وواحده جمع؛ لكون عالَم كل زمان من ذلك عالَم ذلك الزمان » .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « وقال الزجاج : العالَم: كلُّ

---

(١) ما بين معقوفين عن ابن كثير.

ما خَلَق الله في الدنيا والآخرة.

وقال القرطبي : وهذا هو الصحيح أنه شاملٌ لكلّ العالمين؛ كقوله: ﴿ **قَالَ فِرعَون وَمَا ربُّ العَالَمين . قالَ ربُّ السَّمَاوات والأرضِ ومَا بَينَهُما إن كُنتُم مُوقِنين** ﴾[1].

والعالَمُ: مشتقٌ من العلامة، قلت: [الكلام لابن كثير - رحمه الله -] لأنّهُ عَلَم دالٌّ على وجود خالقه وصانِعه ووحدانيته؛ كما قال ابن المعتز:

فيا عجباً كيف يعصى الإله

أم كيف يجحده الجاحدُ

وفي كل شيءٍ له آيـــةٌ

تـــدُلُّ على أنه واحِـــدُ ».

قال العلاّمة السعدي - رحمه الله - : « وتربيته - تعالى - لخلقه نوعان: عامّة وخاصّة.

---

(١) الشعراء: ٢٣ ، ٢٤ .

فالعامّة: هي خلْقه للمخلوقين، ورزْقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصّة: تربيته لأوليائه، فيربّيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شرّ، ولعل هذا المعنى، هوالسر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الربّ، فإنّ مطالبهم كلّها داخلة تحت ربوبيته الخاصّة.

فدلّ قوله: ﴿ **ربُّ العَالَمِين** ﴾ على انفراده بالخلق والتدبير، والنعم وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه بكل وجه واعتبار».

قلت: وارتباط (الحمد لله) بـ (ربّ العالمين) يعني: أن العبد يشكر ربّه ويُثني عليه؛ لأنّ كل ما سوى الله تعالى - خاضع له، من سماوات وأرضين وإنس وجنّ، وبررة وفَجَرة، فكلّ شيء تحت سلطانه وقهره، و هو ربّ كل شيء ومليكه، فيستعين المرء بالله - تعالى - ويستعيذ؛ من كل ضارٍّ ومعتدٍ، ومن كل شيطانٍ وهامّة.

ولا تصلح الحياة إلا بتوحيد الربوبية المستلزم لتوحيد الألوهيّة .

قال تعالى ﴿ **لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لا بتغَوا إلى ذي العرش سبيلاً . سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً . تسبّح له السماوات السبع والأرض ومَن فيهنّ وإنْ من شيءٍ إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً** ﴾[2] .

فإن السماوات السبع والأرض ومن فيهنّ، لتقدّس الله ـ سبحانه ـ بكل معاني التقديس والتنزيه والتعظيم ، شاهدةً له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته .

﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيم** ﴾ قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ « قال القرطبي : « إنما وصَف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله :

---

(١) الأنبياء : ٢٢ .

(٢) الإسراء : ٤٣-٤٤ .

﴿ **ربّ العَالَمِين** ﴾ ليكون من باب قَرْن الترغيب بعد الترهيب، كما قال تعالى: ﴿ **نبئ عبادي أنّي أنْا الغفورُ الرَّحيمُ وأنَّ عذَابي هُوالعَذابُ الأليمُ** ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ **إنّ ربّكَ سَرِيعُ العِقَاب وإنّه لغَفُورٌ رَحِيم** ﴾[2].

قال: فالرب فيه ترهيب، والرحمن الرحيم ترغيب.

وفي «صحيح مسلم»[3] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة؛ ما طمع في جنّته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة؛ ما قنط من جنّته أحد». انتهى.

قلت: هذا كلام نافع، ولكن ينبغي أَنْ نعلم أنّ تنزيل ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيم** ﴾، في المرّة الأولى كان في التسمية والابتداء، وفي المرة الثانية بالحمد والثناء.

وتأمّل الآيات: ﴿ **الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمِين. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ** ﴾.

---

(١) الحجر: ٤٩، ٥٠.

(٢) الأنعام: ١٦٥.

(٣) برقم (٢٧٥٥).

فكلمة (ربّ) عند النحاة صفة أو بدل .

و(الرحمن) صفة ثانية . . .

و(الرحيم) صفة ثالثة .

و (مالك) صفة رابعة .

فإذا قلنا في تقدير السورة هنا :

الحمد للرحمن .

الحمد للرحيم .

الحمد لمالك يوم الدين [1] .

فإنك تحمده على اسم الرحمن وما تضمّنه من صفات، وتحمده على اسم الرحيم وما تضمّنه من صفات .

وقد تقدّم القول حول معنَيي (الرحمن) و (الرحيم) .

فتقول : الحمد للرحمن بالمؤمنين والكُفار في الدنيا والآخرة .

في الدنيا على النّعم التي لا تُحصى .

---

(١) أو يكون التقدير : الحمد لله المتصف بالرّبّ، والرحمن والرحيم ومالك يوم الدين .

وفي الآخرة على عدْله بين جميعهم، فإنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة .

و الحمد للرحيم بالمؤمنين خاصّة في الدنيا والآخرة .

في الدنيا على توفيقه إياهم للطاعات، وحب الله تعالى ورسوله ﷺ . . .

وفي الآخرة على أن خصّهم بالنعيم المقيم والفوز المبين .

وأقول :

الحمد لله على اسمي الرحمن الرحيم، وما يقتضيهما من الصفات العُلى، فإنّ الله ـ تعالى ـ كتَب على نفسه الرحمة ، ولم يكتبها غيرُه عليه ـ تعالى الله عن هذا علوّاً كبيراً ـ.

وقد قال رسول الله ﷺ قال : « لو أَنّ الله عذَّب أهل سماواته وأَهل أرضه؛ عذَّبهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ولو رحَمَهم، كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم »[1] .

فالحمد لله أنّه الرحمن الرحيم؛ مع القُدرة على تعذيبه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩) وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ انظر « تخريج السُّنة » برقم (٢٤٥) .

الخلق ﴿ **لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون** ﴾[1].

﴿ **مَالكِ يَوْمِ الّدينِ** ﴾ قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ: « قرأ بعض القراء: ﴿ **مَلِك يَومِ الّدينِ** ﴾. وقرأ آخرون: ﴿ **مَالكِ** ﴾. وكلاهما صحيح متواتر في السبع.

ومالك : مأخوذ من الملك، كما قال: ﴿ **إنّا نَحنُ نَرِثُ الأرضَ ومَن عَلَيها وإليَنا يُرجَعُون** ﴾[2] وقال: ﴿ **قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِك النَّاسِ** ﴾[3].

ومَلِك :مأخوذ من المُلك كما قال تعالى: ﴿ **لمنَ المُلْك اليَوم للهِ الوَاحد القَهّار** ﴾[4].

وقال: ﴿ **قَولُهُ الحقُّ ولَهُ المُلْك** ﴾[5] وقال: ﴿ **المُلكُ يَومئذٍ الحَقُّ للرَّحْمن وكانَ يوماً عَلى الكَافِرين عَسِيراً** ﴾[6].

---

(١) الأنبياء :٢٣ .

(٢) مريم :٤٠ .

(٣) الناس: ١، ٢ .

(٤) غافر: ١٦ .

(٥) الأنعام: ٧٣ .

(٦) الفرقان: ٢٦ .

وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه ربّ العالمين، وذلك عامٌّ في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين؛ لأنه لا يدّعي أحد هناك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، كما قال: ﴿ **يومَ يَقُومُ الرُّوحُ والمَلائكةُ صَفّاً لا يتكلّمُونَ إلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وقَالَ صواباً** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **وَخَشَعَتِ الأَصْواتُ للرَّحمَنِ فلا تَسمعُ إلا هَمْساً** ﴾[2]، وقال: ﴿ **يَوْمَ يَأتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بإذْنِهِ فَمِنْهُم شَقيٌّ وسَعيد** ﴾[3].

والملِك في الحقيقة هو الله ـ عز وجل ـ قال الله تعالى ﴿ **هُوَ اللهُ الّذي لا إله إلا هو الملكُ القُدّوسُ السّلام** ﴾.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «أخنع اسم عند الله؛ رجل تسمّى بملك الأملاك، ولا مالك إلا الله تعالى»[4].

وفيهما عنه عن رسول الله ﷺ: «يقبض الله الأرض

---

(١) النبأ: ٣٨.

(٢) طه: ١٠٨.

(٣) هود: ١٠٥.

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣) واللفظ له.

ويطوي السماء بيمنه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض أين الجبارون ؟ أين المتكبرون؟»[1] وفي القرآن العظيم ﴿ **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾[2].

فأمّا تسمية غيره في الدنيا بملك ، فعلى سبيل المجاز؛ كما قال تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً** ﴾[3] ﴿ **وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ** ﴾[4] ﴿ **إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً** ﴾[5].

والدين : الجزاء والحساب ؛ كما قال تعالى ﴿ **يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ** ﴾[6] ﴿ **أَئِنَّا لَمَدِينُونَ** ﴾[7] أي مجزيّون مُحاسبون.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٢) ومسلم (٢٧٨٨) واللفظ له .

(٢) غافر: ١٦.

(٣) البقرة: ٢٤٧.

(٤) الكهف: ٧٩.

(٥) المائدة: ٢٠.

(٦) النور: ٢٥.

(٧) الصافات: ٥٣.

ويوم الدين: يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم، إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشرّ، إلا من عفا عنه[1]» انتهى.

وكان ﷺ يدعو في استسقائه ﴿**الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِين.الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَلكِ يَوْمِ الّدِينِ**﴾[2].

إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ[3]: العبادة في اللغة من الذِّلة، يقال: طريق مُعبّد وبعير مُعبّد، أي مُذلل، وفي الشرع: عبارة عمّا يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف[4].

قلت: «والاستعانة جزء من العبادة، فذِكْرها بعدها؛ من باب ذِكْر الخاصّ بعد العامّ».

قال ابن كثير - رحمه الله -: «وقدَّم المفعول وهو ﴿**إيَّاكَ**﴾، وكرَّر للاهتمام والحصر؛ أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير».

(٢) انظر للمزيد «صحيح أبي داود» (١٠٤٠).

(٣) انظر للمزيد من الفوائد النفيسة - إن شئت - «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين».

(٤) انظر «تفسير ابن كثير».

عليك، وهذا هو كمال الطاعة.

والدين كلّه يرجع كله إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف :الفاتحة سرّ القرآن ، وسرّها هذه الكلمة﴿ **إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ فالأول: تبرؤ من الشرك، والثاني: تبرؤ من الحول والقوّة، والتفويض إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ.

وهذ المعنى في غير آية من القرآن ، كما قال تعالى :

﴿ **فَاعْبُدْهُ وَتَوكَّلْ عليه وَما رَبُّك بغَافِلٍ عَمَّا تَعملُونَ** ﴾[1] ، ﴿ **قُلْ هُو الرَّحْمَن آمنَّا بِهِ وعليْهِ توكَّلنا** ﴾[2]، ﴿ **ربُّ المشرق والمغرب لا إله إلا هُو فاتَّخذه وكيلا** ﴾[3] وكذلك هذه الآية الكريمة: ﴿ **إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾.

وتحول الكلام من الغَيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب، وهومناسبة؛ لأنه لمّا أثنى على الله فكأنه اقترب وحضَر بين يدي الله تعالى؛ فلهذا قال ﴿ **إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾.

وفي هذا دليل على أنّ أول السورَة خبر من الله تعالى بالثناء

---

(١) هود: ١٢٣.

(٢) الملك: ٢٩.

(٣) المزمّل: ٩.

على نفسه الكريمة ؛ بجميل صفاته الحسنى، وإرشاد لعباده أن يثنوا عليه بذلك؛ ولهذا لا تصحّ صلاةُ من لم يقل ذلك، وهو قادر عليه .

كما جاء في « الصحيحين » عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ ؛ أن رسول الله ﷺ قال :« لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »[1] .

وفي « صحيح مسلم »[2] . من حديث العلاء بن عبد الرحمن، مولى الحُرَقَة، عن أبيه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ يقول :

« قال الله تعالى : قسمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل ، إذا قال العبد : ﴿ **الحمْدُ لله ربِّ العَالَمين** ﴾ قال الله ـ تعالى ـ: حمدني عبدي، وإذا قال :﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ .

قال الله ـ تعالى ـ:أثنى عليّ عبدي، وإذا قال :﴿ **مَالك يَوْمِ الدين** ﴾ ، قال : مجّدني عبدي، فإذا قال :﴿ **إيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعينُ** ﴾ قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما

---

(١) انظر « صحيح البخاري » (٧٥٦) و « صحيح مسلم » (٣٩٤) .

(٢) برقم : ٣٩٥ .

سأل ، فإذا قال : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم. غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم ولا الضَّالِّين** ﴾ ، قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل » .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿ **إيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ يعني : إياك نوحّد ونخاف ونرجو ، يا ربنا لا غيرك ، ﴿ **وإيَّاكَ نَسْتَعينُ** ﴾ على طاعتك ، وعلى أمورنا كلها .

وإنّما قدّم : ﴿ **إيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ على ﴿ **وإيَّاكَ نَسْتَعينُ** ﴾ لأن العبادة له هي المقصودة ، والاستعانة وسيلة إليها ، والاهتمام والحزْم تقديُم ماهو الأهمّ فالأهمّ ، والله أعلم » . انتهى .

قال الإمام الطبري - رحمه الله - : « ومعنى قوله ﴿ **وإيَّاكَ نَسْتَعينُ** ﴾ : وإيّاك ربنا نستعين على عبادتنا إياك ، وطاعتنا لك في أمورنا كلها ، لا أحداً سواك ، إذ كان من يكفر بك يستعين في أموره معبوده الذي يعبده من الأوثان دونك ، ونحن بك نستعين في جميع أمورنا ، مخلصين لك العبادة » . انتهى

قلت : وفيه أنّ الغاية لا تسوِّغ الوسيلة ، إذ ينبغي تصحيح النيّة والوسيلة معاً .

قال ابن القيّم ـ رحمه الله ـ : « ثمّ إنّ القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما تراميا به إلى التلف ولا بُدّ: وهما الرياء والكبر، فدواء الرياء بـ ﴿ **إياك نعبد** ﴾ ودواء الكِبر بـ ﴿ **إياك نستعين** ﴾.

وكثيراً ما كنتُ أسمع شيخ الإسلام ابن تيميه ـ قدّسَ الله روحه ـ يقول: ﴿ **إياك نعبد** ﴾ تدفع الرياء و﴿ **إياك نستعين** ﴾ تدفع الكِبر ياء »[1].

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ : « قال شيخ الإسلام ـ قدّسَ الله سرّه ـ : تأملت أنفع الدعاء :فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثمّ رأيته في الفاتحة؛ في ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾[2] ».

وأسأل الله ـ تعالى ـ أَن يوفّقنا للأنفع من العلم والعمل والدعوة؛ إنه سميع عليم.

---

(١) «التفسير القيم» (ص٤٨).

(٢)«التفسير القيم» (ص٦٩).

﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾:

قال الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - : « لمّا تقدّم الثناء على المسؤول - تبارك وتعالى - ناسب أن يُعقَب بالسؤال كما قال: « فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ماسأل » وهذا أكمل أحوال السائل، أن يمدح مسؤوله، ثم يسأل حاجته، وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿ **اهْدِنا** ﴾؛ لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة، ولهذا أرشد الله - تعالى - إليه لأنه الأكمل، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه، كما قال موسى - عليه السلام -: ﴿ **رَبِّ إنّي لما أنزلتَ إليّ مِن خَيرٍ فقير** ﴾[1].

وقد يتقدمه مع ذلك وصْف المسؤول؛ كقول ذي النون - عليه السلام -: ﴿ **لا إله إلا أَنتَ سُبحَانكَ إنِّي كُنتُ من الظّالمين** ﴾ أو قد يكون بمجرد الثناء على المسؤول، كقول الشاعر:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني

حباؤك إنّ شيمتك الحباء

(١) القصص: ٢٤.

إذا أثنى عليك المرء يوما

كفاه من تعرُّضه الثناء

والهداية ههنا: الإرشاد والتوفيق، وقد تُعدّى الهداية بنفسها كما هنا: ﴿ **اهْدِنَا الصِرّاط المستَقيم** ﴾ فتضمن معنى ألهِمنا، أو وَفِّقنا، أو ارزقنا، أو أعطنا؛ ﴿ **وهَدينَاهُ النَّجدَيْن** ﴾[1]. أي: بينّا له الخير والشر، وقد تُعدّى بإلى؛ كقوله تعالى: ﴿ **اجتَباهُ وهَدَاهُ إلى صراط مستَقيمٍ** ﴾[2].

﴿ **فَاهْدُوهُمْ إلى صراط الجحيمِ** ﴾[3] وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وإنَّكَ لتَهْدي إلى صراطٍ مستقيم** ﴾[4].

---

(١) البلد: ١٠.

(٢) النحل: ١٢١.

(٣) الصافات: ٢٣.

(٤) الشورى: ٥٢.

وقد تُعدّى باللام، كقول أهل الجنة: ﴿ **الحمدُ لله الّذِي هدانَا لِهذَا** ﴾[1]. أي وفَّقنا لهذا وجَعَلَنا له أهلا.

وأمّا الصراط المستقيم، فقال الإمام أبو جعفر بن جرير: أجمعَت الأمّة من أهل التأويل جميعاً على أنّ «الصراطَ المستقيم» هو الطريق الواضح؛ الذي لا اعوجاج فيه؛ وذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخَطَفي:

أميرُ المؤمنين على صراطٍ

إذا اعوجّ المواردُ مستقيمِ

قال: والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر. قال: ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل؛ وُصِف باستقامةٍ أو اعوجاج، فتصِف المستقيم باستقامته، والمعوَجَّ باعوجاجه.

ثم اختلفَت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإنْ كان يرجع حاصلها إلى شيءٍ واحد،

---

(١) الأعراف: ٤٣.

وهو المتابعة لله وللرسول ﷺ ؛ فروي أنه كتاب الله » .

وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ، ﴿ **اهْدِنَا الصرّاط المُسْتَقيم** ﴾ قالوا : هوالإسلام .

وفي معنى هذا حديث : النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ـ تعالى ـ ضربَ مثَلاً صراطاً مستقيماً ، على جنبتي الصراط أبوابٌ مفتحةٌ لهما سوران ، وعلى الأبواب ستور ، وداعي الله ـ تعالى ـ يدعو على الصراط من فوقه ﴿ **واللّهُ يَدعُو إلى دارِ السّلامِ ويَهدِي مَن يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقيم** ﴾ [1] ، والأبواب التي على جنبتي الصراط حدود الله ، لا يقع أحد في حدود الله حتى يهتك ستر الله ، والذي يدعومن فوقه واعظ الله ـ عزّ وجلّ ـ » [2] .

وعن النواس ـ رضي الله عنه ـ كما في رواية أُخرى ـ :

---

(١) يونس : ٢٥ .

(٢) أخرجه أحمد والترمذي (٢٨٥٩) وغيرهما ، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في تخريج « السنة » ، لابن أبي عاصم برقم (١٨) .

قال: «ضرَب رسول الله ﷺ مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سور فيه أبواب مفتحة، وعل الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يدعو: يا أيها الناس ادخلوا إليه جميعاً ولا تتعوجوا، والداعي يدعو من فوق الصراط، فإذا فُتح باب من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه! إنْ تفتَحْه تلجْه، والصراط :الإسلام والستور: حدود الله، والأبواب المفتحة محارمُ الله ـ عزّ وجلّ ـ»[1].

قلت: وفي الحديث الآتي ما يفيد معنى الصراط المستقيم.

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال:

«كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخطّ خطاً هكذا أمامه فقال: «هذا سبيل الله ـ عزّ وجلّ ـ» وخطّ خطاً عن يمينه، وخطّ خطاً عن شماله، وقال: «هذه سبُل الشيطان»، ثمّ وضَع يدَه في الخط الأوسط ثمّ تلا هذه الآية ﴿ **وأنّ هذا صِراطي مُسْتَقيماً فاتبِعوهُ ولا تتّبِعوا السُّبل فتفرّق بِكُم**

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم وغيرهما وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في تخريج «السنة»، برقم (١٩).

عن سبيلِهِ ذلكم وصّاكم بِهِ لعلكُم تتَقون ﴾[1].

وقيل في معنى الصراط المستقيم: الحقّ.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ «وهذا أشمل، ولا مُنافاة بينه وبين ما تقدّم.

وعن أبي العالية: « ﴿ **اهدِنَا الصّراطَ المسْتَقيم** ﴾، قال: هو النبي ﷺ، وصاحباه من بعده، قال عاصم: فذكَرنا ذلك للحسن، فقال: صدق أبو العالية ونصح».

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ بحذف ـ بعد عرض الأَقوال المتقدمة ـ: «وكلّ هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة، فإنّ مَن اتَّبع النبيّ ﷺ، واقتدى باللذين مِن بعده: أبي بكر وعمر، فقد اتَّبع الحقَّ، ومَن اتَّبع الحق؛ فقد اتَّبع الإسلام، ومن اتَّبع الإسلام؛ فقد اتَّبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين، وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يُصدّق بعضُها بعضاً، ولله الحمد.

وعن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ، قال: الصراط المستقيم:

---

(١) صححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في تخريج «السنة»، برقم (١٦).

الذي تركَنا عليه رسول الله ﷺ ولهذا قال الإمام أبو جعفر ابن جرير ـ رحمه الله ـ :« والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي ـ أعني : ﴿ **اهدِنَا الصِّراط المسْتَقيم** ﴾ ، أن يكون معنياً به : وفِّقنا للثبات على ما ارتضيتَه، ووفَّقْتَ له من أنعمتَ عليه من عبادك، مِنْ قولٍ وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأن من وُفِّق لما وُفق له مَن أَنعَم الله عليهم من النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين؛ فقد وُفِّق للإسلام وتصديق الرسل ، والتمسكِ بالكتاب، والعملِ بما أمَرَه الله به، والانزجارِ عمَّا زَجَره عنه، واتباعِ منهاجِ النبيّ ﷺ، ومنهاجِ الخلفاء الأَربعة، وكلِّ عبدٍ صالح، وكلُّ ذلك من الصراط المستقيم.

فإنْ قيل: كيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها ، وهو متصف بذلك؟

فهل هذا من بابِ تحصيل الحاصل أم لا؟

فالجواب: أن لا ، ولولا احتياجه ليلاً ونهاراً إلى سؤال الهداية لما أرشده الله إلى ذلك، فإنّ العبدَ مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله ـ تعالى ـ في تثبيته على الهداية، ورسوخِه فيها، وتبصُّره ، وازدياده منها، واستمرارِه عليها، فإنّ العبدَ لا يملك

لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، فأرشده ـ تعالى ـ إلى أن يسأله في كل وقت؛ أن يمدّ يده بالمعونة والثبات والتوفيق .

فالسعيد من وَفَّقه الله ـ تعالى ـ لسؤاله؛ فإنه تعالى قد تكفَّل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار ، وقد قال تعالى : ﴿ **يا أيها الّذين آمَنُوا آمِنوا باللهِ ورسولهِ والكِتَاب الَّذِي نَزَّلَ على رسُولهِ والكتابِ الّذي أَنزَل من قبلُ** ﴾[1] .

فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان ، وليس في ذلك تحصيل الحاصل؛ لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك، والله أعلم.

وقد قال تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يقولوا ﴿ **رَبَّنا لا تُزغْ قُلُوبَنا بَعدَ إذ هدَيتنَا وَهب لنَا من لّدنك رَحمةً إنَّك أنتَ الوهَّابُ** ﴾[2] . فمعنى قوله تعالى ﴿ **اهْدِنَا الصّراطَ الْمستَقيم** ﴾ : استمرَّ بنا عليه، ولا تعدِل بنا إلى غيره، ولا تُضلّنا عنه » .

---

(١) النساء: ١٣٦ .

(٢) آل عمران : ٨٠ .

﴿ **صِراطَ الَّذينَ انعمتَ عليهم غَيرِ المغضُوبِ عليهِم ولا الضالّين** ﴾ .

ثمّ قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

قدّ تقدَّم الحديث فيما إذا قال العبد : ﴿ **اهدنَا الصّراط المستقيم** ﴾ إلى آخرها؛ أن الله يقول : « هذا لعبدي ولعبدي ما سأل » .
وقوله : ﴿ **صِراطَ الَّذين أنعمت عَليهم** ﴾ مفسِّر للصراط المستقيم .

وهو بدل منه عند النحاة، ويجوز أن يكون عطف بيان، والله أعلم .

و ﴿ **الَّذين أنعمت عليهم** ﴾ هم المذكورون في سورة النساء، حيث قال ﴿ **ومَن يُطع اللهَ والرَّسولَ فأُولئكَ معَ الذينَ أنعَمَ اللهُ عليْهِم مّنَ النّبيّين والصّدّيقينَ والشُّهداءِ والصَالحينَ وحَسُنَ أولئك رفِيقاً . ذلِكَ الفضْلُ مِن اللهِ وكفَى باللهِ علِيماً** ﴾(١)

وقال الضحاك، عن ابن عباس : صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك؛ من ملائكتك، وأنبيائك، والصّديقين، والشهداء، والصالحين؛ وذلك نظير ما قال ربنا ـ تعالى ـ

---

(١) النساء ٦٩ ، ٧٠ .

﴿ ومن يُطع اللهَ والرسولَ فأُولئكَ معَ الذينَ أنعَمَ اللهُ عليْهِم ﴾ .

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس: قال هم النبيّون.

وقال ابن جريج، عن ابن عباس: هم المؤمنون. وكذا قال مجاهد وقال وكيع: هم المسلمون.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم النبي ﷺ، ومن معه، والتفسير المتقدم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أعمّ وأشمل، والله أعلم» .انتهى

أقول: فمن قال: ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ . . . فقد دعا الله - تعالى - أن يهديَه صراط الموفَّقين الذين أنعم الله عليهم منذ زمن آدم - عليه السلام - .

فتضمن ذلك صراط الرسل والنبيِّين، وعلى رأسهم نبيّنا محمد ﷺ والصحابة - رضي الله عنهم - وسائر أهل الهداية والاستقامة.

فمن استجيب دعاؤه وهُدي الصراط المستقيم؛ فهو

معهم ، في سلوك طريق الهداية والنور والخير والبرّ، وهو معهم في الآخرة بإذن الله .

قال تعالى ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾[1] .

وقد جاء رجُل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله! إنَّك لأحبّ إليَّ من نفسي، وإنَّك لأحبّ إليَّ من أهلي، وأحبّ إليَّ من وَلَدي، وإنِّي لأكُون في البيت فأذكرك؛ فما أصبر حتى آتيك، فأنظر إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتك؛ عَرَفْتُ أنَّك إذا دَخَلْتَ الجنَّة؛ رُفِعْتَ معَ النَّبيِّين، وإنِّي إذا دَخَلْتُ الجنَّة؛ خَشيْتُ أن لا أراك؟ فَلَم يردّ عليه النبيّ ﷺ شيئاً؛ حتى نزل جبريل ـ عليه السلام ـ بهذه الآية: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾»[2] .

---

(١) النساء: ٦٩، ٧٠ .

(٢) أخرجه الطَّبراني في «الأوسط» و«الصَّغير» وانظر «الصحيحة» (٢٩٣٣).

وفـائدة ثانيـة : وهي أَن كلّ من سـأل الله ـ تعـالى ـ الصراط المستقيم ، واستُجيب دعاؤه ؛ فقد وُفّق لخيري الدنيا والآخرة ؛لأَن الله تعالى يقول : ﴿ **إنّ علينا للهُدى . وإنّ لنا للآخِرةَ والأولى** ﴾[1] .

ثمّ قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

« وقوله تعالى : ﴿ **غَيـرِ المغضُوب عليَهم ولا الضَّالين** ﴾ : قرأ الجمهور : غيرِ بالجر على النعت .

والمعنى : اهدنا الصراطَ المستقيم ،صراطَ الذين أنعمت عليهم ممن تقدم وصْفهم ونعْتهم ، وهم أهل الهداية والاستقامة، والطاعة لله ورسله، وامتثالِ أوامره وتركِ نواهيه وزواجرِه، غير صراط المغضوب عليهم ، وهم الذين فسدت إرادتهم؛ فعلموا الحقّ وعدلوا عنه، ولا صراطَ الضالين؛ وهم الذين فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحقّ.

وأكّد الكلام بلا[2] ليدل على أن ثمّ مسلَكين

---

(١) الليل :١٢ ، ١٣ .

(٢) يعني في قوله ـ سبحانه ـ ﴿ **ولا الضّالين** ﴾ .

فاسدين، وهما طريقتا اليهود والنصارى.

﴿غَيرِ المغضُوبِ عَليهمْ ولا الضَالّين﴾ [1] أي: غير

(١) جاء في «شرح العقيدة الطحاوية» (٢٠٧): وسببُ الإِضلال والإِعراض عن تدبُّر كلام الله وكلام رسوله ﷺ، الاشتغال بكلام اليونان والآراء المختلفة.

وإنما سُمّي هؤلاء: أهلَ الكلام، لأنهم لم يفيدوا علماً لم يكن معروفاً، وإنما أتَوا بزيادةِ كلام قد لا يفيد، وهو ما يضربونه من القياس لإيضاح ما عُلم بالحس، وإنْ كان هذا القياسُ وأمثالُه يُنتفع به في موضع آخر، ومع من ينكر الحس.

وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته ـ مع وجود النَّص، أو عارضَ النَّص بالمعقول ـ فقد ضاهى إبليس، حيث لم يُسْلِم لأمر ربه، بل قال: ﴿**أنا خيرٌ منهُ خَلَقتَني من نار وخَلَقتهُ من طينٍ**﴾[الاعراف:١٢]. وقال تعالى: ﴿**من يُطع الرَّسُولَ فَقَد أطَاع اللهَ ومَن تَوَلى فَما أرسَلناكَ عليهم حَفيظا**﴾ [النساء: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿**قل إن كُنتُم تُحبونَ اللهَ فاتَّبِعوني يحبِبكم اللهُ ويغفرْ لكَم ذُنُوبَكم واللهُ غفورٌ رحيم**﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: ﴿**فلا وربّك لا يُؤمِنونَ حَتى يُحكِّمُوك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفُسهم حرجاً مما قَضَيت ويُسلموا تسلمياً**﴾ [النساء: ٦٥]. أقسم سبحانه بنفسه؛ أنهم لا يؤمنون حتى يحكّموا نبيَّه ويرضَوا بحُكمه ويُسلّموا تسليماً. =

صراط المغضوب عليهم .اكتفى بالمضاف إليه عن ذِكر

= ثم جاء : (ص٢٠٨) : «فيتذبذب بين الكفر والايمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار ، موسوساً تائها ، شاكّا ، لا مؤمنا مصدقا، ولا جاحد مكذبا» .

قال : وهذه الحالة التي وصَفَها الشيخ ـ رحمه الله ـ حال كلّ مَن عَدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص ويردّه إلى الرأي والآراء المختلفة ، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك، كما قال ابن رشد الحفيد ـ وهو مِن أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتِهم ـ في كتابه « تهافُت التهافُت » .

« ومَن الذي قال في الإلهيات شيئاً يعتَدُّ به؟ » . وكذلك الآمدي، أفضلُ أهلِ زمانه، واقفٌ في المسائل الكبار حائر.

وكذلك الغزالي ـ رحمه الله ـ ، انتهى آخرُ أمرِه إلى الوَقْف والحيرة في المسائل الكلامية ، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ ، فمات و« صحيح الإمام البخاري » على صدره.

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ، قال في كتابِه الذي صنفَه : « أقسام اللذات » :

نهايةُ إقدامِ العقول عِقالُ

وغاية سعي العالمين ضَلالُ

=

= وأرواحُنا في وَحشةٍ من جسومنا

وحاصلُ دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

سوى أن جمَعْنا فيه : قيل وقالوا

فكم قد رأينا من رجالٍ ودولةٍ

فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا

وكم من جبالٍ قد علتْ شرفاتِها

رجالٌ، فزالوا والجبالُ جبالُ

لقد تأملتُ الطرقَ الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتُها تُشفي عليلا، ولا تُرْوي غليلا، ورأيت أقربَ الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[طه:٥]. ﴿**إليه يصعد الكَلِم الطيّب**﴾ [فاطر: ١٠]. وأقرأ في النفي: ﴿**ليس كمثْله شيء**﴾ [الشورى:١١] ﴿**ولا يحيطون به علْما**﴾ [طه: ١١٠]. ثم قال: «مَن جرَّب مثل تجربتي عرَف مثل معرفتي».

وكذلك قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرةَ والندم، حيث قال:

لعمري لقد طُفتُ المعاهد كلَّها

وسيَّرتُ طَرْفي بين تلك المعالم =

= فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائرٍ

على ذَقَنٍ أو قارعاً سنَّ نادمِ

وكذلك قال أبو المعالي الجويني: يا أصحابنَا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفتُ أن الكلامَ يبلُغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلْتُ به. وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضَمّ، وخلَّيتُ أهلَ الإسلام وعلومَهم، ودخلت في الذي نهَوني عنه، والآن فإنْ لَمْ يتداركني ربي برحمته؛ فالويل لابن الجويني، وهاأناذا أموت على عقيدةِ أمّي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور!

وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي - وكان من أَجلّ تلاميذة فخر الدين الرازي - لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوما، فقال: ما تعتقده؟ قال: ما يعتقده المسلمون فقال: وأنت منشرحُ الصدر لذلك مستيقن به؟ - أو كما قال - فقال: نعم، فقال: أُشكُرِ الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضَل لحيته ولابن أبي الحديد. الفاضل المشهور بالعراق:

فيكِ يا أُغلوطة الفِكر

حار أمري وانقضى عُمري

=

= سافَرَت فيكِ العقولُ فما

رَبِحتْ إلا أذى السفرِ

وقال الخوفجي عند موته: ما عرفت مما حصّلته شيئاً؛ سوى أن الممكن يفتقر إلى المرجِّح .

وقال آخر : أضطجع على فراشي وأضع اللحفة على وجهي ، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء.

ومن يَصِل إلى مثل هذه الحال إنْ لم يتداركه الله برحمته؛ وإلا تزندق ، كما قال أبو يوسف :مَن طلب الدين بالكلام تزندق . . . . . .

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ : حُكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال: هذا جزاء من تَرَك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

وقال: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلماً يقوله، ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ـ ما خلا الشرك بالله ـ خيرٌ من أن يبتلى بالكلام. انتهى بتصرّف.

وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز ، فيُقرّ بما أقرّوا به، ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك، التي كان يَقطَع بها، ثمّ تبيَّن له فسادُها ، أو لم يتبيّن له صحتُها ، فيكونون في نهاياتهم ـ إذا سلموا من العذاب ـ بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء =

= والأعراب .

والدواء النافع لِمثل هذا المرض، ما كان طبيبُ القلوب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يقوله ـ إذا قام من الليل يفتتح الصلاة ـ « اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطِر السموات والأرض ، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » أخرجه مسلم .

توجه ﷺ إلى ربه بربوبية جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، أن يهديَه لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، إذ حياة القلب بالهداية .

وقد وكّل الله ـ سبحانه ـ هؤلاء الثلاثة بالحياة : فجبرائيل موكل بالوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وميكائيل بالقَطر الذي هو سبب حياة الأبدان وسائر الحيوان [ولم تبْدُ صحّته لي للآن ؛ فيما اطلعْتُ عليه]، وإسرافيل بالنفخ في الصور؛ الذي هو سبب حياة العالم وعَوْد الأرواح إلى أجسادها .

فالتوسل إلى الله ـ سبحانه ـ بربوبيّة هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة؛ له تأثير عظيم في حصول المطلوب والله المستعان .

وقال (ص ٥٢٤) بعد تفصيلٍ في أحوال الفِرق :

وهذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرّقة بين الأُمّة ، كما ذكَر البخاري ـ رحمه الله ـ في « صحيحه »، عن سعيد بن المسيب، قال : وقعت

المضـاف [1]، وقـد دلَّ عليـه سـيـاق الكلام، وهو قـوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّراطَ المُسْتَقيم صِراطَ الَّذِين أنعَمْتَ عليهمْ** ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ **غَيرِ المغضُوبِ عَليهمْ** ﴾.

= الفتنة الأولى، يعني مقتلَ عثمان، فلم تُبقِ من أصحاب بدر أحداً ثم وقعت الفتنة الثانية، فلم تُبق من أصحاب الحديبة أحداً، ثمّ وقعت الثالثة، فلم ترتفع وللناس طَبَاخ - أي عقل وقوة - فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى، والقدرية والمرجئة في الفتنة الثانية، والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة .فصار هؤلاء ﴿ **الّذين فرَّقوا دِينَهم وكانوا شِيعاً** ﴾[الأنعام :١٥٩] يقابلون البدعة بالبدعة ، أولئك غلَوا في عليّ، وأولئك كفَّروه! وأولئك غَلَوا في الوعيد ، حتى خلَّدوا بعض المؤمنين ، وأولئك غَلَوا في الوعد ؛ حتى نفَوا بعض الوعيد - أعني المرجئة - وأولئك غَلَوا في التنزيه؛ حتى نَفوا الصفات، وهؤلاء غلَوا في الإثبات، حتى وقعوا في التشبيه! وصاروا يبتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع، ويَعْرِضون عن الأمر المشروع ، وفيهم من استعان على ذلك بشيء من كُتب الاوائل؛ اليهود و النصارى والمجوس والصابئين ، فإنهم قرؤوا كتبهم، فصار عندهم من ضلالتهم ما ادخلوه في مسائلهم ودلائلهم ، وغيّروه في اللفظ تارةً ، وفي المعنى أخرى !

فلبّسوا الحق بالباطل، وكتَموا حقاً جاء به نبيهم، فتفرقوا واختلفوا وتكلموا حينئذ في الجسم والعرض والتجسيم نفياً، وإثباتاً».

(١) يعني لم يقل الله - سبحانه - : غيرِ صراطِ المغضوب عليهم.

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقرأ «غير المغضُوب عليهم وغير الضَّالين».

وهذا إسناد صحيح، وكذا حُكي عن أبيّ بن كعب أنه قرأ كذلك،وهو محمول على أنه صدر منه على وجه التفسير؛ فيدلّ على ما قلناه؛ من أنّه إنّما جيء بلا لتأكيد النفي؛ لئلا يُتَوهم أنه معطوف على ﴿ **الّذِين أنعَمتَ عليهمْ** ﴾.

والفرق بين الطريقتين ليُجتَنَب كلّ واحد منهما ؛ فإن طريقة أهل الإيمان مشتملةٌ على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضَّلال للنّصارى، لأَنّ مَن علِم وترك؛ استحقّ الغضب، بخلاف من لم يعلم ، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً؛ لكنهم لا يهتدون إلى طريقه؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه ـ وهو اتباع الرسول الحقّ ـ ضلّوا، وكلٌّ من اليهود والنصارى ضالٌّ مغضوب عليه، لكنَّ أخصَّ أوصاف اليهود الغضب كما قال فيهم: ﴿ **من لَعنه الله وغَضِب**

عليه ﴾[1]، وأَخصّ أوصاف النصارى الضلال ؛ كما قال - تعالى - عنهم: ﴿ **قَدْ ضَلّوا مِن قبْلُ وأضلُّوا كَثِيراً وضَلُّوا عَن سَواءِ السَّبِيلِ** ﴾[2] وبهذا جاءت الأحاديث والآثار».

ثمّ ذكَر ابن كثير - رحمه الله - حديث عديّ بن حاتم مرفوعاً[3] وفيه «إن اليهود مغضوبٌ عليهم، وإنّ النّصارى ضُلاّل»[4].

ثمّ ذكر حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - [ونصُّه كما في «صحيح البخاري» ومنه نَقلت]«أنَّ زيد بن عمرو بن نفيل خَرَجَ إلى الشام يسألُ عن الدِّين ويَتْبَعُه، فلقي عالماً منَ اليهود، فسألهُ عن دينهم، فقال :إني لعَلِّي أن أدينَ دينَكم، فأخبِرني، فقال :لا تكونُ على دِيننا حتى تأخُذَ بنصيبك من غضبِ الله .

---

(١) المائدة : ٦٠ .

(٢) المائدة :٧٧ .

(٣) وذكر عدداً من الآثار بهذا المعنى أيضاً .

(٤) أخرجه الترمذي، «صحيح سنن الترمذي» (٣١٤١)، وانظر «الصحيحة» تحت الحديث (٣٢٦٣) .

قـال زيدٌ: مـا أفـرُّ إلا من غَـضَب الله، ولا أحْـمل ُمن غَضب الله شيئـاً أبداً، وأنَّى أسْتَطيعُـه ! فـهل تَدلُّني على غيره؟ قال: ما أعلمُه إلا أن يكون حَنيفاً.

قـال زيدٌ: ومـا الحنيفُ؟ قـال: دين إبراهيمَ، لـم يكـن يهودياً ولا نصرانياً ولا يَعبُدُ إلا الله.

فـخرج زيد فلقي عـالماً من النصـارى، فـذكَر مِثْلَه، فقال: لن تكون على ديننا؛ حتى تأخذ بنصيبك مِن لعنة الله.

قـال: مـا أفـرُّ إلا من لعنة الله، ولا أحـملُ من لعنة الله، ولا من غضبه شيئاً أبداً، وأنَّى أستطيع! فهل تَدُلَّني على غيره؟ قال: ما أعلمُه إلا أن يكون حَنيفاً. قال: وما الحنيفُ؟ قال: دينُ إبراهيم، لم يكن يهوديّاً ولا نصـرانيّـاً، ولايعـبدُ إلا الله، فلمّا رأى زيدٌ قولهم في إبراهيم ـ عليه السلام ـ خرَجَ، فلمّا برز رفع يديه فقال: اللّهم إني أشهدُ أنّي على دِين إبراهيم»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٧).

ثم قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «اشتملت هذه السورة الكريمة ـ وهي سبع آيات ـ على حمد الله وتمجيده والثناء عليه، بذِكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا، وعلى ذِكر المعاد ـ وهو يوم الدين ـ وعلى إرشاده عبيده إلى سؤاله، والتضرع إليه، والتبرؤ من حولهم وقوتهم، وإلى إخلاص العبادة له، وتوحيده بالألوهية ـ تبارك وتعالى ـ وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم ـ وهو الدين القويم ـ وتثبيتهم عليه؛ حتى يفضي بهم ذلك إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة، المفضي بهم إلى جنات النعيم في جوار النبيين، والصِّدّيقين، والشهداء، والصالحين.

واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة؛ ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل، لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضالون».

قلت: والذي ذكَره الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ مهمٌّ جداً، فلا بُدّ لنا من شيء من التفصيل؛ في مسألة الصراط

الحسّي يوم القيامة.

جاء في شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤١٥): «قوله والصراط، أي: ونُؤمن بالصراط، وهو جِسْر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم؛ مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة - رضي الله عنها - إنّ رسول الله ﷺ سُئل: أين النَّاسُ يوم تُبدّل الأرض غيرَ الأرض والسماوات؟ فقال: «هم في الظلمة دون الجسر»[١].

وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبِقُهم المؤمنون، ويُحال بينهم بسورٍ يمنعهم من الوصول إليهم.

وروى البيهقي بسنده، عن مسروق، عن عبد الله قال:

« يجمع الله الناس يوم القيامة، إلى أن [قال]: « فيُعطَون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يُعطَى نورَه مِثل الجبل بين يديه، ومنهم من يُعطَى نوره فوق ذلك،

---

(١) وفي رواية عنها أنها سألت رسول الله ﷺ « يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسماوات [ابراهيم: ٤٨] فأين يكون النّاس يومئذ يا رسول الله؟ قال: على الصراط » أخرجه مسلم (٢٧٩١).

ومنهم من يُعطَى نورَه مِثل النخلة بيمينه، ومنهم من يُعطَى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يُعطى نورَه على إبهام قدمه، يضيء مرةً ويطفئ مرة، إذا أضاء قدّم قدَمه، وإذا طفيء قام.

قال: فيمرُّ، ويمرون على الصراط،* والصراط كحدِّ السيف، دحْضٌ، مزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمرّ كالطرف، ومنهم من يمرّ كشدّ الرَّجُل، يَرْمُل رَمَلاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخِرُّ يدٌ، وتَعَلّق يد، وتخر رِجْل وتعلق رِجْل، وتصيب جوانبَه النار*[1]، فيخلُصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجّانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يُعْطَ أحدٌ»[2]. انتهى.

---

(١) وانظر للنص الذي بين نجمتين «صحيح الترغيب والترهيب» تحت الحديث (٣٦٢٩).

(٢) وأخرجه الحاكم والطبراني في «المعجم الكبير» وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «تخريج الطحاوية» (ص ٤١٥).

وفي رواية قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ :

« يوضَع الصراط على سواء جهنم ، مثل حدّ السيف المرهف[1] مدحضة[2] مزلّةٌ، عليه كلاليب من نار يخطَف بها؛ فممْسَكٌ يَهْوي فيها؛ ومَصْروعٌ، ومنهم منْ يمرُّون كالبَرقِ فلا ينَشَبُ ذلك أن ينَجُو ثم كالريح فلا ينشبُ ذلك أن ينجو، ثم كجري الفرس ، ثم كَرمَل الرجل، ثم كمشي الرجُلِ ،ثم يكون آخرهم إنساناً؛ رجلٌ قد لوَّحَته النارُ ولقي فيها شراً، حتى يُدخله الله الجنّة بفضل رحمته، فيقالُ له تمنَّ وسَلْ، فيقول :أي ربِّ! أتهزأُ منّي وأنت ربُّ العزَّة ؟

فيقال له :تمنَّ وَسَلْ ،حتَّى إذا انقطعت به الأماني قال: لك ما سألتَ ومثلُه معه »[3] .

وعن حذيفة وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ قالا : قال رسول الله ﷺ « يجمَع الله الناس » فذكر الحديث إلى أن قالا :

---

(١) يقال رَهَفْتُ السيف وأرهفتُه، فهو مرهوف ومُرهف :أي رقّقت حواشيه. « النهاية » .

(٢) مدحضَةٌ : الدّحض : الزّلق .« النهاية » .

(٣) أخرجه الطبراني بإسناد حسن، وانظر « صحيح الترغيب والترهيب »(٣٦٢٧) .

« فيأتون محمداً ﷺ، فيقومُ فيُؤذَن وتُرسَل الأمانة والرَّحمُ، فتقومان جنبتَي الصراط يميناً وشمالاً، فيمرُّ أوَّلُكم كالبَرق .

قال: قلتُ بأبي أنت وأمّي! أيُّ شيءٍ كمرِّ البرق؟ قال: ألمْ تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويَرجعُ في طرفةِ عين، ثم كمرِّ الريح، ثم كمرّ الطير، وشدّ الرجال، تجري بهم أعمالُهم، ونبيُّكم ﷺ قائمٌ على الصراطِ يقولُ: ربّ سلِّم سلِّم، حتى تعجزَ أعمالُ العباد، حتى يجيء الرجلُ فلا يستطيع السيرَ إلا زَحفاً، قال: وفي حافتي الصراطِ كلاليبُ معلَّقةٌ، مأْمورةٌ بأخذِ من أُمرَت به فمَخدوشٌ ناج، ومكدوس[1] في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده؛ إنّ قعرَ جهنَّم لسبعون خريفاً »[2].

وجاء (ص ٤١٦) منه: « واختلف المفسرون في المراد

---

(١) مكدوس: أي مدفوع، وتكدّس الإنسان: إذا دُفع من ورائه فسقط. « النهاية ».
قال النووي (٣ / ٣٠) - رحمه الله تعالى -: « معناه كون الأشياء بعضها على بعض، ومنه تكدّست الدواب في سيرها: إذا ركب بعضها بعضاً ».

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥).

بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿ **وإن منكُم إلا وَارِدُها** ﴾[1]، ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ **ثُمَ ننجي الّذِين اتَقوا ونَذَرُ الظَالِمين فيهَا جِثِيّاً** ﴾[2].

وفي «الصحيح» أنه قال: «والذي نفسي بيده، لا يَلج النارَ أحدٌ بايع تحت الشجرة»، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿ **وإن مِنكُم إِلا واردها** ﴾، فقال أَلم تسمعيه قال: ﴿ **ثُمَ ننجي الّذِين اتَقوا ونَذَرُ الظَالِمين فيهَا جِثِيّاً** ﴾[3].

---

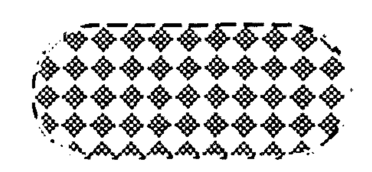
(١) مريم: ٧١.

(٢) مريم: ٧٢.

(٣) وعن المسيب قال: «سألت مُرَّةَ عن قوله تعالى: ﴿ **وإن منكم إلاواردها** ﴾؟ فحدّثني أنَّ ابن مسعود حدَّثهم؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: يَرِدُ الناس النار، ثم يَصْدرون عنها بأعمالهم، أولّهم كلمْحِ البرق، ثمّ كمرّ الريح، ثم كحُضر الفَرس،[والحُضر: عدوٌ ذو وثب]، ثم كالراكب في رَحْلِه، ثم كشدّ الرجُل، ثم كمشيه».

أخرجه الحاكم وقال: «إسناده على شرط مسلم» وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٣٠).

« أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأنّ النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقادَ سببه، فمن طلبه عدوُّه ليُهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجّاه الله منهم، ولهذا قال تعالى ﴿ ولمّا جَاء أمرُنا نَجَّينا هوداً ﴾[1] ﴿ فَلمّا جَاء أمرُنا نجَّينا صالحاً ﴾[2]، ﴿ ولمّا جَاء أمرنا نجَّينا شعيباً ﴾[3]، ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، و لولا ماخصّهم الله به من أسباب النجاة؛ لأصابهم ما أَصاب أولئك، وكذلك حالُ الوارد في النار، يمرون فوقَها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذَر الظالمين فيها جِثيّاً. فقد بيّن ﷺ في حديث جابر :أن الورود هو الورود على الصراط ».



(١) هود: ٥٨ .

(٢) هود: ٦٦ .

(٣) هود: ٩٤ .

التَّأمين

كان رسول الله ﷺ إذا انتهى من قراءة الفاتحة قال : « آمين »، يجهر ويمدّ بها صوته »[1].

ويؤمن المقتدون وراء الإمام .

وتأمين المقتدين يكون وراء الإمام جهراً ومقروناً مع تأمين الإمام؛ لا يسبقونه كما يفعل جماهير المصلّين ، ولا يتأخّرون عنه[2].

[فإنّ الملائكة تقول : آمين ، وإنَّ الإمام يقول :آمين] (وفي لفظ إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا)، فمن وافَق تأمينُه تأمينَ الملائكة (وفي لفظ آخر : إذا قال أحدكم في الصلاة : آمين، والملائكة في السماء : آمين، فوافق أحدُهما الآخرَ)، غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه »[3].

---

(١) أخرجه البخاري في جزء القراءة ،وأبو داود بسند صحيح وانظر « صفة الصلاة » (ص١٠١).

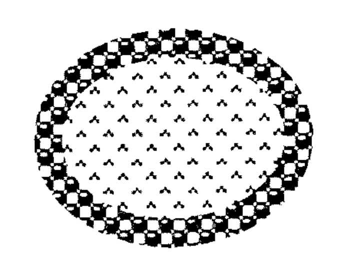
(٢) انظر « صفة الصلاة النبي ﷺ » (١٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧٨٥) ومسلم (٤٠٠) والنسائي والدارمي، وانظر « صفة الصلاة » (ص١٠١).

الشرح :

آمين : اسم فعل أمر بمعنى استجب ، وخرج عن مقتضى الأمر إلى الدعاء.

قال الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ : « آمين دعاء معناه : اللهمّ استجب، وهي من أسماء الأفعال، وهي مصدر أمَّن ـ بالتشديد ـ أي : قال : آمين وهي بالمدّ والتخفيف في جميع الروايات وعن جميع القُرّاء » .



أذكار الركوع[1]

كان رسول الله ﷺ يقول في هذا الركن أنواعاً من الأذكار والأدعية، تارة بهذا، وتارة بهذا:

١ – « سبحان ربي العظيم (ثلاث مرات) »[2].

وكان – أحياناً – يكررها أكثر من ذلك[3].

وبالَغ مرَّةً في تكرارها في صلاة الليل؛ حتى كان ركوعُه قريباً من قيامه، وكان يقرأ فيه ثلاثَ سور من الطوال: « البقرةَ » و « النساءَ » و « آل عمران »، يتخللها دعاء واستغفار.

---

(١) عن « صفة الصلاة » (ص١٣٢) بتصرّف.

(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وغيرهم، وفيه ردّ على من أنكر ورود التقييد بثلاث تسبيحات.

(٣) يستفاد هذا من الأحاديث المصرحة؛ بأنه عليه الصلاة والسلام كان يُسوّي بين قيامه وركوعه وسجوده.

٢- « سبحان ربّي العظيم وبحمده (ثلاثاً) »[١].

٣- « سُبّوح قدّوس، ربّ الملائكة والروح »[٢].

٤- « سبحانك اللهمّ ربّنا وبحمدك، اللهم اغفر لي. وكان يُكثر منه في ركوعه وسجوده؛ يتأوّل القرآن »[٣].

٥- « اللهم لك ركعْت، وبك آمنْت، ولك أسلمْت، [أنت ربّي]، خشع لك سمعي وبصري، ومخّي وعظمي (وفي رواية: وعظامي) وعصبي، [وما استقلّت[٤] به قدمي لله ربّ العالمين] »[٥].

---

(١) قال شيخنا في « صفة الصلاة » (ص١٣٣): صحيح رواه أبو داود، والدارقطنيّ، وأحمد، والطبراني والبيهقي.

(٢) أخرجه مسلم: ٤٨٧.

(٣) أخرجه البخاري: ٨١٧، ومسلم: ٤٨٤، ومعنى قوله: « يتأول القرآن »: يعمل بما أُمر فيه؛ أي: في قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿ **فسبِّح بحمد ربّك واستغفره إنّه كان توّاباً** ﴾.

(٤) أي: ما حمَلَتْه، من الاستقلال: بمعنى الارتفاع.

(٥) أخرجه مسلم: ٧٧١، وأبو عوانة، والطحاوي والدارقطني.

٦- « اللهمّ لك ركـعْت، وبك آمنْت، ولك أسلمْت، وعليك توكلْت، أنت ربي، خشَع سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي؛ لله ربِّ العالمين »[١].

٧- « سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعَظمة »، وهذا قاله في صلاة الليل[٢].

الشرح:

سبحان ربي العظيم: أي أسبّح ربي الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه؛ أي: أنزّهه تنزيهاً من كل النقائص، وممّا لا يليق بجلاله وعظمته.

● **سبحان ربي العظيم وبحمده**: تقدّم في دعاء الاستفتاح (سبحانك اللهمّ وبحمدك) وأنّ المعنى: وبحمدك أبتدىء، وقيل: بحمدك سبّحت، أو التسبيح مسبَّبٌ بالحمد وملابس له، أو نسبّحه حامدين له.

---

(١) أخرجه النسائي بسند صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود، والنسائي بسند صحيح.

● سُبّوح قُدّوس ربّ الملائكة والروح.

سبُوح قُدُّوس: على وزن فُعّول من أبنية المبالغة، والمراد بهما التنزيه، وسُبّوح: من التسبيح، وهو التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص.

وقدُّوس: هو الطّاهر المنزّه عن العيوب[1].

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ :« القدوس: هو الطاهر من كلّ ما يضيف إليه المشركون له، ويَصفونه به ؛ ممّا ليس من صفاته المباركة[2].

وقال في موطن آخر: « قيل: هو المبارَك »[3].

قلت: ولعلّ قوله: « قيل » إيماء للتضعيف والتمريض، فقد قال ابن القيّم ـ رحمه الله ـ كما في « جلاء الأفهام »ـ: ويُقال في حقّ الله ـ تعالى ـ « تبارك » ولا يُقال: « مُبارك ».

---

(١) ملتقطٌ من « النهاية ».

(٢) انظر تفسير « سورة الجمعة: ١ » .

(٣) انظر تفسير « سورة الحشر: ٢٤ ».

وجاء في «شرح النووي» (٤/ ٢٠٥): «... ومعنى سُبّوح: المبرَّأ من النقائص والشريك، وكلّ ما لا يليق بالإلهيّة.

وقدّوس: المطهّر من كلّ ما لا يليق بالخالق...» وراجع الكتاب المذكور للمزيد من الفائدة.

سبحانك اللهمّ ربّنا وبحمدك: تقدّم قبل سطور.

ووردَ في هذا الدعاء اسمان من اسماء الله تعالى (الله) وهو الاسم الأعظم، و(الربّ)، وتقدّم تنزيه الله ـ تعالى ـ والثناء عليه قبل طلب المغفرة.

اللهم لك ركعْت: ناسب الركوع أن يقول: «لك ركعت» وهو إفراده بالركوع والخضوع، وهو امتثال لقوله تعالى: ﴿ **يا أيَّها الّذين آمَنوا اركَعُوا واسجُدوا واعبدُوا ربكُم وافعلوا الخير لعَلّكُم تُفلحون** ﴾[1] وتقديم شبه الجملة يفيد القصر؛ فلا ركوع إلا لله.

(١) الحج: ٧٧.

وبك آمنْت: الإيمان: هو التصديق بما جاء عن الله ـ سبحانه ـ وبكلّ ما أخبرَ وأَمرَ ونهى؛ مع ما يقتضيه من عمل الجوارح والأبدان، ففي الإيمان صلاح الظاهر والباطن.

ولك أسلمْت: أي لك استسلمت، وانقَدْت لأمرك ونهيك، وعلى رأس ذلك نطقي بالشهادتين، واعتقادي بهما؛ لأحظى بالإسلام، وكذا سائر الأركان والواجبات [1].

خشع لك سمعي وبصري، ومخّي وعظمي وعصبي: فيه وجوب العمل على خشوع هذه الحواسّ والأعضاء، وهذا لازمُ توحيدِ الربوبية وحقّ توحيد الألوهية، فينبغي أن يخضع ويخشع اللسان والقلب والسمع والبصر والمخ والعظم والعصب للخالق ـ سبحانه ـ بل على المرء أن يخشع بكليتّه لله رب العالمين؛ لا لأحدٍ سواه.

وما استقلّت به قدمي لله ربّ العالمين: استقلّت: أي: ما حَمَلَته، من الاستقلال بمعنى الارتفاع. وتقدّم.

---

(١) انظر «شرح صحيح الأدب المفرد» (٢/ ٣٦٠).

● **اللهمّ لك ركعْت، وبك آمنْت، ولك أسلمْت، وعليك توكلْت.....**: هذا كالدعاء المتقدّم بزيادة (**وعليك توكّلت**): أي اعتمَدْتُ عليك في أُموري؛ الدنيوية والأُخروية.

● **سبحان ذي الملكوت والجبروت**[1]: اسمان مبنيّان من الجبر والملك، قاله ابن الأثير وقال شيخنا ـ رحمه الله ـ نقلاً عن بعض العلماء: « هما مبالغة من (الجبر) : وهو القهر و(الملك) : وهو التصرّف، أي: صاحب القهر والتصرُّف البالغ كلٌّ منهما غايته » انتهى.

والكِبرياء[2]: قال الله تعالى ﴿**وله الكِبرياءُ في السماواتِ والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾[3].

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « قال مجاهد: [الكِبرياء]

---

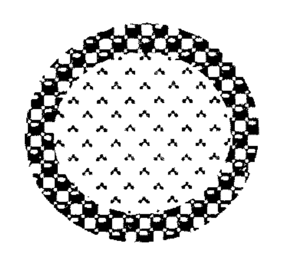
(١) تقدّم شرح معظمه في أدعية الاستفتاح.

(٢) انظر إن شئت المزيد من الفائدة ما قاله شيح الاسلام ـ رحمه الله ـ في « مجموع الفتاوى » (١٦ / ١١٢) .

(٣) الجاثية :٣٧ .

يعني: السلطان أي: هو العظيم الممجّد، الذي كلّ شيء خاضعٌ لديه، فقير إليه، وقد ورَد في الحديث الصحيح: « يقول الله تعالى: العظمة إزاري والكِبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما أسكنته ناري »[1].

والعظمة: العظيم: هو كل الذي كل شيء دونه، فلا أعظم منه[2]، وهذا ماضٍ في ذاته وأسمائه وصفاته ـ سبحانه ـ كما تقدّم[3].



---

(١) أخرجه مسلم :٢٦٢ وتقدَّم .

(٢) انظر « تفسير الطبري » سورة البقرة: (آية : ٢٥٥).

(٣) انظر (ص ٣٨).

أذكار الاعتدال والقيام من الركوع

كان ﷺ يرفع صُلبه من الركوع قائلاً: سمع الله لمن حمده، كما في الحديث: «لا تتمّ صلاةٌ لأحدٍ من الناس حتى... ثمَّ يقول: سمع الله لمن حمده حتى يستوي قائماً»[1].

وكان ﷺ يقول: «إنّما جُعل الإمام ليؤتمّ به... وإذا قال: سمع الله لمن حَمِده؛ فقولوا: ربّنا ولك الحمد»[2].

وكان (عليه الصلاة والسلام) يقول وهو قائم:

١ - «ربّنا ولك الحمد»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود والحاكم وصحّحه ووافقه الذهبي، وانظر «صفة الصلاة» (ص١٣٥).

(٢) أخرجه البخاري: ٨٠٥، ومسلم: ٤١١.

(٣) أخرجه البخاري: ٨٠٥، ومسلم: ٤١١.

وتارةً يضيف «اللهمّ»[1].

وتارةً يزيد:

٢- «ملءَ السماوات، و[ملء] الأرض، وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد»[2].

وتارةً تكون الإضافة:

٣- «ملءَ السماوات، وملءَ الأرض، وملءَ ما شئت من شيء بعد، أهلَ الثناء والمجد، أحقُّ ما قال العبد، وكُلّنا لك عبد، [اللهمّ] لا مانع لما أعطيت، [ولا مُعطيَ لما منعت]، ولا ينفعُ ذا الجَدّ منك الجَدُّ»[3].

وتارةً يقول في صلاة الليل:

٤- «لربّي الحمد، لربّي الحمد»، يكرّر ذلك؛ حتى كان قيامه نحواً من ركوعه؛ الذي كان قريباً من قيامه الأوّل،

---

(١) أخرجه البخاري: ٧٩٥، وأحمد.

(٢) أخرجه مسلم: ٤٧٨، وأبو عوانة.

(٣) أخرجه مسلم: ٤٧٧، وأبو عوانة، وأبو داود.

وكان قرأ فيه سورة البقرة »[1].

٥- « ربّنا ولك الحمد، حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه، [مباركاً عليه؛ كما يحبّ ربنا ويرضى] ».

قاله رجل كان يصلّي وراءه ﷺ بعدما رفع ﷺ رأسه من الركعة، وقال: « سمع الله لمن حمده »، فلمّا انصرف رسول الله ﷺ قال: « من المتكلّم آنفاً؟ » فقال: أنا يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: « لقد رأيت بضعةً وثلاثين مَلَكاً يبتدرونها[2] أيهم يكتبها أولاً »[3].

الشرح

سمع الله لمن حمده: قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ في « فتح الباري » (٥ / ٧٤): « ومعنى قوله « سمع الله لمن حمده »: استجاب الله لحامده؛ كما استعاذ من دعاءٍ لا

---

(١) أخرجه أبو داود، والنسائي بسند صحيح، وهو مخرّج في « الإرواء » (٣٣٥).

(٢) أي: يعجلون لرفعها، ويستبقون إلى ذلك. « المحيط ».

(٣) أخرجه مالك، والبخاري: ٧٩٩، وأبو داود.

يُسمع :أي لا يُستجاب ».

وقال النووي -رحمه الله- (٤ / ١٩٣) : « قال العلماء : معنى سمع هنا أجاب، ومعناه أنَّ مَن حمِد اللَّه تعالى متعرِّضًا لثوابه، استجاب اللَّه تعالى له وأعطاه ما تعرَّض له، فإنّا نقول: ربّنا لك الحمد لتحصيل ذلك ».

قلت: ولا يعني هذا نفي السمع الحقيقي؛ لقوله تعالى ﴿ **إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾[1]، وغير ذلك من الآيات.

● **ربّنا ولك الحمد**: تقديم شبه الجملة يفيد القصر، وهو قصر حقيقي، فالحمد مقصور على الله -سبحانه وتعالى-.

● **وتارةً كان يقول**: ربنا لك الحمد .

● **وتارةً يضيف إلى هذين اللفظين قوله**: اللهم: أي يا الله.

وتارةً يزيد :

ملءَ السماوات وملء الأرض وما بينهما: ملءُ:

---

(١) طه: ٤٦ .

بنصب الهمز ورفعها، والنصب أشهر[1].

قال بعض العلماء: «المراد به كثرة العدد، فكما أَنَّ نِعَمَ اللّه ـ تعالى ـ كثيرة، ناسبَها أمثال هذه العبارات التي تعبّر عن كثرة العدد، واللّه أعلم».

قلت: وينبغي حمْل هذا على الحقيقة، إذ حمْله على الحقيقة؛ متضمّنٌ كثرةَ العدد.

ومِلءَ ما شئتَ مِن شيء بعدُ: قيل: إنّه اعتراف بالعجز عن أداء حقّ الحمد؛ بعد إفراغ الوسع، ففيه إحالة الأمر على مشيئة الله.[2].

قلت: «فيه أنّ الملء غير محصور، إذ هو مرتبط بمشيئة الله ـ تعالى ـ».

وتارةً يضيف إلى ذلك قوله: «أهلَ الثناء والمجد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ».

---

(١) انظر «شرح النووي» (٤ / ١٩٣).

(٢) «إكمال الإكمال» بتصرُّف.

أَهلَ : منصوب على النداء، وهذا هو المشهور، وجوّز بعضهم رفْعه على تقدير أنت أهل الثناء، والمختار النصب، قاله النووي - رحمه الله -.

الثناء: الوصف الجميل والمدح.

المجد: العظمة ونهاية الشرف . قال في« النهاية » : المجد في كلام العرب : الشرف الواسع ، ورجل ماجد : مفضال كثير الخير شريف ، والمجيد : فعيل منه للمبالغة . . . » .

قال تعالى ﴿ **قالوا أتعجبينَ من أَمرِ الله رحمةُ الله وبَركاتُه عَليكُم أَهلَ البيت إِنَّه حَميدٌ مجيد** ﴾[1] .

قال ابن كثير - رحمه الله - : « إِنه حميد مجيد : أي : هو الحميد في جميع أَفعاله وأقواله، محمود ممجّدٌ في صفاته وذاته » .

أحق ما قال العبد، وكلنّا لك عبد : إقرار بالضعف والتسليم للخالق؛ والذي يلزم منه توحيد العبادة .

اللهّم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطيَ لما منعت : هذا عامٌّ يتضمن كلّ شيء ، ومنه الرزق والمال والسلطان والجاه والنّصر . . . .

---

(١) هود :٧٣ .

وعن رِفاعة الزُّرَقي قال: « لمّا كان يوم أُحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ: استووا حتى أُثني على ربّي ـ عزّ وجلّ ـ: فصاروا خلفَه صفوفاً، فقال:

« اللهمَّ لك الحمد كلُّه، اللهمَّ لا قابضَ لِمَا بَسطتَ، ولا مُقَرِّبَ لِمَا باعدتَ، ولا مباعدَ لِمَا قرَّبتَ، ولا معطيَ لِمَا منعتَ، ولا مانعَ لِمَا أعطيت »[1].

ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجدُّ: الجَدّ: ـ بالفتح على الصحيح ـ وهو الحظ والغنى والعظمة والسلطان.

أي لا ينفع ذا الحظّ في الدنيا بالمال والولد والعظمة والسلطان منك حظّه، أي: لا يُنجيه حظّه منك، وإنّما ينفعه ويُنجيه العمل الصالح[2].

والجِدّ: بالكسر: بمعنى لا ينفع ذا الاجتهاد منك اجتهاده.

---

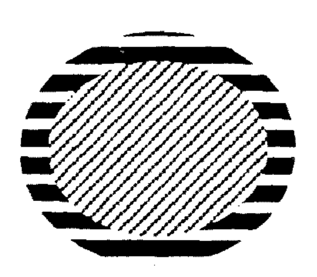
(١) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » وانظر « صحيح الأدب المفرد » برقم ٥٣٨.

(٢) « شرح النووي ».

● **لربي الحمد لربي الحمد**: فيه الجمع بين توحيد الربوبيه والإلهّية، فكما أنه هو المربّي بالخلق والإنعام والرزق والهداية والتوفيق، فينبغي أن يُفردَ ـ سبحانه ـ بالشكر والثناء.

● **ربّنا ولك الحمد، حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه، مباركاً عليه كما يحبّ ربنا ويرضى**: قال بعض العلماء: «كثيراً طيباً: أي خالصاً عن الرياء والسمعة والنقصان».

قلت: وهذا بعض معاني (طيباً)؛ لا على سبيل التحديد.



أذكار السجود[1]

كان رسول الله ﷺ يقول في هذا الركن أنواعاً من الأذكار والأدعية، تارة هذا، وتارة هذا:

١ – « سبحان ربي الأعلى (ثلاث مرات) »[2].

و « كان – أحياناً – يكررها أكثر من ذلك ».

وبالَغ في تكرارها مرّة في صلاة الليل حتى كان سجوده قريباً من قيامه، وكان قرأ فيه ثلاث سور من الطوال: « البقرة » و « النساء » و « آل عمران »، يتخللُها دعاءٌ واستغفار[3].

---

(١) عن « صفة الصلاة » (١٤٥).

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود « صحيح سنن أبي داود » (٧٧٤)، وابن ماجه والدارقطني والطحاوي والبزار، والطبراني في « الكبير » عن سبعة من الصحابة.

(٣) تقدّم تخريجه.

٢- « سبحان ربي الأعلى وبحمده »[١].

٣- « سُبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح »[٢].

٤- « سبحانك اللهمّ ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي »، وكان يكثر منه في ركوعه وسجوده؛ يتأول القرآن[٣].

٥- « اللهمّ لك سجدْتُ، وبك آمنت، ولك أسلمت، [وأنت ربي]، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره، [فأحسن صوره]، وشقّ سمعه وبصره، [فـ] تبارك الله أحسن الخالقين »[٤].

٦- « اللهمّ اغفر لي ذنبي كله، دِقّه وجِلّه، وأوله وآخره،

---

(١) أخرجه أبو داود والدارقطني وأحمد والطبراني والبيهقي، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في المصدر المذكور.

(٢) أخرجه مسلم: ٤٨٧

(٣) أخرجه البخاري: ٨١٧، ومسلم: ٤٨٤، وهذا النوع من أذكار الركوع أيضاً، وقد مضى أنّ معناه: يعمل بما أُمِرَ به في القرآن.

(٤) أخرجه مسلم: ٧٧١، وأبو عوانة والطحاوي والدارقطني.

وعلانيته وسرَّه »[1].

٨- « سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة »[2]، وهذا وما بعده كان يقوله في صلاة الليل.

٩- « سبحانك [اللهمّ] وبحمدك، لا إله إلاّ أنت »[3].

١٠- « اللهمّ اغفر لي ما أسررت، وما أعلنت »[4].

١١- « اللهمّ اجعل في قلبي نوراً، [وفي لساني نوراً]، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل من تحتي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، واجعل أمامي نوراً، واجعل خلفي نوراً، [واجعل في نفسي نوراً]، وأعظِم لي نوراً »[5].

---

(١) أخرجه مسلم: ٤٨٣

(٢) أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

(٣) أخرجه مسلم: ٤٨٥ ؛ من غيرِ الزيادة.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٦٢ / ١١٢ / ١)، والنسائي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه مسلم: ٧٦٣

١٢- «اللهمّ أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك»[١].

الشرح:

● **سبحان ربي الأعلى**: قال شيخ الاسلام - رحمه الله-: «الأعلى على وزن أَفعل التفضيل؛ مِثل الأَكرم، والأَكبر، والأَجل، ولهذا قال النبيّ ﷺ لمّا قال أبو سفيان: اعْلُ هُبَل! اعْلُ هُبَل! فقال النبيّ ﷺ: ألا تجيبونه؟

قالوا: وما نقول: قال: قولوا: الله أعلى وأَجلّ[٢] وهو مذكورٌ بأَداة التعريف «الأعلى» مثل ﴿ **وربّك الأَكرم** ﴾ بخلاف ما إِذا قيل: «الله أكبر» فإِنّهُ مُنكّر.

و «الأعلى» يجمع معاني العلوّ جميعَها، وأَنّه الأعلى بجميع معاني العلوّ، وقد اتفقَ النّاس على أنّه عليٌّ على كلّ شيء بمعنى: أنه قاهر له قادر عليه، مُتصرِّف فيه كما قال:

﴿ **إذاً لذهَب كلّ إله بِما خَلَق ولعلا بعضُهم على بعض** ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم: ٤٨٦.

(٢) أخرجه البخاري: ٤٠٤٣.

وعلى أنّه عالٍ عن كلّ عيب ونقْص ، فهو عالٍ عن ذلك، مُنزَّهٌ عنه، كما قال تعالى : ﴿ **ولاتجعل مع الله إلهاً آخر فتُلقى في جهنّم ملوماً مدحوراً أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً . إنكم لتقولون قولاً عظيماً . ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكَّروا . وما يزيدهم إلا نُفُوراً ، قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لا بتَغَوا إلى ذي العرش سبيلاً . سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً** ﴾ ، فقرَن تعاليَه عن ذلك بالتسبيح . . . .

وقال - رحمه الله - بعد كلامٍ طويلٍ جميل: « فقد تبيّن أَنّ اسمه « الأعلى » يتضمّن اتصافَه بجميع صفات الكمال، وتنزيهَه عمّا ينافيها مِن صفات النّقص، وعن أَن يكون له مِثل، وأَنّه لا إله إلا هو، ولا ربّ سواه »[١] .

● وتقدّمت الصِّيغ التي تليها أو ما يشبهها، والصيغة الخامسة:

---

(١) ملتقطٌ من « مجموع الفتاوى » (١٦ / ١١١ - ١٢٤) وأَنصح بقراءة الصفحات المشار إليها للمزيد من الفائدة .

- **اللهم لك سجدْتُ، وبك آمنت، ولك أسلمت، وأنت ربي**: تقدّم مثله في أذكار الركوع؛ بلفظ «اللهم لك ركعت...».

سجَد وجهي للذي خلَقه وصوّره، فأحسن صوره وشقّ سمعه وبصره: من أسماء الله ـ تعالى ـ المصور: وهو ـ سبحانه ـ إذا أراد شيئاً قال له كن، فيكون على الصفة التي يُريد، والصورة التي يختار؛ كقوله تعالى ﴿ **في أيِّ صُورةٍ ما شَاءَ رَكّبَك** ﴾[1] ولهذا قال: المصور: أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده؛ على الصفة التي يريدها. «تفسير ابن كثير».

فتبارك الله أحسن الخالقين: أي: تبارك الله أحسن الصانعين.

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ **فَتَبارك الله أحسَنُ الخَالِقين** ﴾: يَصنَعُونَ ويَصنَع الله والله خَيرُ الصانعين، ورجّح هذا القولَ ابنُ جرير الطبري ـ رحمه الله ـ، وعلّل ذلك قائلاً:

---

(١) الانفطار: ٨.

لأنّ العرب تسمّي كل صانعٍ خالقاً، ومنه قول زهير :

ولأَنت تفري ما خلقْتَ وبعـ

ض القوم يخلقُ ثمّ لا يفري

ويُروى :

ولأنت تخلق ما فريت[1] وبعـ

ض القوم يخلق ثم لا يفري

قلت : وفي الحديث إن الله يصنَع كل صانعٍ وصنعته[2] .

وفي رواية : « إنّ الله خلق كل صانع وصنعته » .[3] .

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى :

﴿ هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ ﴾ الخلقُ : التقدير

---

(١) سيأتي شرحها بإذن الله ـ تعالى ـ .

(٢) أخرجه البخاري في « خلق أفعال العباد » وابن منده في « التوحيد » والحاكم ، وغيرهم ، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في « الصحيحة » (١٦٣٧) .

(٣) صححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في كتاب « السنة » (٣٥٧ ، ٣٥٨) .

والبَرء، هو: الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدَّره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئاً ورتّبه؛ يقدر على تنفيذه وإيجاده؛ سوى الله ـ عزّ وجلّ ـ.

قال الشاعر يمدح آخر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ

ض القوم يخلُقُ ثم لا يفري[1]

أي: أنت تنفِّذ ما خلقت: أي: قدرت، بخلاف غيرك؛ فإنه لا يستطيع ما يريد.

فالخلق: التقدير، والفري: التنفيذ، ومنه يقال: قدَّر الجلاد ثمّ فرى، أي: قطع على ما قدره بحسب ما يريده.

● اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقّه وجلّه، وأوله وآخره، وعلانيته وسرَّه: دِقّه وجِلّه: الدِقّ: ما قلّ أو صغر، والجلّ: ضد الدقّ.

---

(١) تقدّم قبل سطور.

والمعنى: اللهم اغفر لي ذنبي كلّه، صغيره وكبيره، قليله وكثيره.

وأوّله وآخره، وعلانيته وسرَّه: وهذا فيه توكيد الدُّعاء وتكثير الألفاظ؛ كما أشار إلى ذلك الإمام النووي -رحمه الله-.

سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة: تقدم في أدعية الاستفتاح و الركوع، وانظر للمزيد «مجموع الفتاوى» (١٦ / ١١٢).

● **سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت**: تقدّم، وانظر دعاء الاستفتاح.

ولا تنس -رحمني الله وإياك- أنّ دعوة ذي النّون -عليه السلام- وقد كان في بطن الحوت-: ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إني كُنتُ من الظالمين**﴾[1].

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لم يَدْعُ بها رجلٌ

---

(١) انظر للمزيد من الفائدة -إن شئت- «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٢٣٧-٢٣٧).

مسلم في شيء قطّ إلا استجاب الله له »[1].

● **اللهم اغفر لي ما أسررت، وما أعلنت**: أي: ما أخفيتُ وأظْهَرت، أو ما حدَّثْتُ به نفسي، وما تحرّك به لساني[2].

● **اللهمَّ اجعل في قلبي نوراً**: قَدَّم القلب؛ لأنَّ المضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسَدت فسد سائر البدن، ولأنَّ القلب إذا استنار فاض نوره على البدن جميعاً، ومِن لازِم تنوير هذه الأعضاء؛ أن تحلّ بها الهداية، لأَنَّ النّور يقشع ظلمات الذنوب، ويرفع سدفات[3] الآثام.[4]

وفي لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً...: تُحمَل هذه الأنوار على ظاهرها، إذ هي

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. وانظر « الكَلِم الطيّب » (١٢٢).

(٢) تقدّم في دعاء الاستفتاح.

(٣) سدفات الآثام: أي ظُلماتها.

(٤) نقله الجيلاني عن « شرح الحصن »، كما في « فضل الله الصمد » (٢ / ١٥٦).

أنوارٌ يستضاء بها من ظلمات يوم القيامة [1] وهي متضمّنة العلم والهداية، وقد قال تعالى: ﴿**فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِن رَبِّهِ**﴾[2]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿**وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**﴾[3].

وتقدّم أثر عبد الله ـ رضي الله عنه ـ: «يجمع الله الناس يوم القيامة، إلى أن[قال]: «فيُعطَون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يُعطَى نورَه مِثل الجبل بين يديه، ومنهم من يُعطَى نوره فوق ذلك، ومنهم من يُعطَى نورَه مِثل النخلة بيمينه، ومنهم من يُعطَى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يُعطى نورَه على إبهام قدمه، يضيء مرةً ويطفئ مرة، إذا أضاء قدّم قدَمه، وإذا طفيء قام.

---

(١) انظر ما تقدّم في تفسير ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ وما ذكَرْتُ من تفصيلٍ حول الصراط يوم القيامة.

(٢) الزمر: ٢٢.

(٣) الأنعام: ١٢٢.

قال: فيمرُّ، ويمرون على الصراط، والصراط كحدِّ السيف، دحْضٌ، مزلّة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمرّ كالطرف، ومنهم من يمرّ كشدّ الرَّجُل، يَرْمُل رَمَلاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخِرُّ يدٌ، وتَعَلَّق يد، وتخر رِجْل وتعلق رِجْل، وتصيب جوانبَه النار».

ويسأل العبد ربّه النور في جميع أعضائه وجسمه وتصرّفاته وتقلّباته وحالاته؛ حتى لا يزيغ منها شيء.

و بهذا النور يميّز الإنسان بين الحقّ والباطل، ويوظّف كل عضو في الطاعات، فنور القلب يجعله يحب للّه ويبغض للّه، ويبتعد عن الكفر والفسوق والعصيان، ونور السمع يجعله يستمع لذِكر اللّه ـ تعالى ـ ويردّ الغيبة والنميمة.. وهكذا.[1]

---

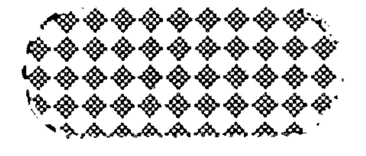
(١) انظر ـ إن شئت ـ المزيد كتابي «شرح صحيح الأدب المفرد» (٢ / ٣٥٥).

● **اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك**: قال الإمام أبو سلمان الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد ذِكر هذا الحديث: «في هذا معنى لطيف؛ وذلك أنه استعاذ بالله ـ تعالى ـ وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلمّا صار إلى ذكْر مالا ضِدّ له وهو الله سبحانه ـ وتعالى ـ استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته، والثناء عليه، وقوله:

لا أحصي ثناءً عليك: أي: لا أطيقه ولا آتي عليه، وقيل لا أُحيط به وقال مالك ـ رحمه الله ـ: معناه: لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك؛ وإن اجتهدتُ في الثناء عليك.

وقوله: **أنت كما أَثنيت على نفسك**: اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء؛ أنه لا يَقدِر على بلوغ حقيقته، وردٌّ للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإِحصار والتعيين، فوكَل ذلك إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ المحيط بكل شيء جملةً

وتفصيلاً، وكما أنه لا نهاية لصفاته؛ لا نهاية للثناء عليه؛ لأنّ الثناء تابع للمثنيّ عليه، وإنْ كَثُر وطال وبولغ فيه؛ فقَدْر الله أعظم، وسلطانه أعزّ، وصفاته أكبر وأكثر، وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ.[1].



---

(١) انظر «شرح النووي».

الأذكار بين السجدتين

كان رسول الله ﷺ يقول في هذه الجلسة:

١ - «اللهم (وفي لفظ: ربّ)! اغفر لي، وارحمني، [واجبرني]، [وارفعني]، واهدني، [وعافني]، وارزقني»[1]، وتارة يقول:

٢ - «ربّ اغفر لي، رب اغفر لي»[2].

الشرح:

● **اللهم اغفر لي، وارحمني، واجبرني...**: قال في «النهاية»: «أي: أغْنني، مِن جبَرَ اللهُ مصيبته: أي: ردّ عليه ما ذهب منه وعوّضه، وأصْلُه مِن جبْر الكسر».

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر «صفة الصلاة» (ص ١٥٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٧٣١)، وانظر «صفة الصلاة» (ص ١٥٣).

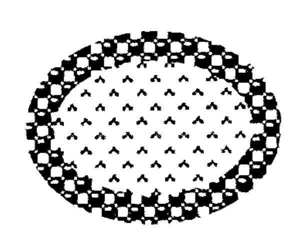
وهذا من جوامع الدعاء وهو يتضمّن خيري الدنيا والآخرة.

● **رب! اغفر لي، رب اغفر لي.**

تقدّم في تفسير العلاّمة السعدي - رحمه الله -: في «سورة الفاتحة» أنّ تربيته - تعالى - لخلقه نوعان: عامّة وخاصّة.

فالعامّة: هي خلْقه للمخلوقين، ورزْقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم؛ التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصّة: تربيته لأوليائه، فيربّيهم بالإيمان، ويوفّقهم له ... وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة مِن كلّ شرّ، ولعلّ هذا المعنى، هو السرّ في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الربّ، فإنّ مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصّة.



صيغ التشهد(١)

١ ـ تشهُّد ابن مسعود : قال: علَّمني رسول الله ﷺ التشهُّد ـ [و] كفِّي بين كفيه ـ كما يعلّمني السورة من القرآن :

« التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النّبيّ(٢)، ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، [فإنه إذا قال ذلك؛ أصاب كُلّ عبدٍ صالحٍ في

---

(١) عن « صفة الصلاة » (ص١٦١).

(٢) سيأتي بعد سطور أنّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يقولون بعد وفاته ﷺ : « السلام على النّبيّ » قال شيخنا ـ رحمه الله ـ في « صفة الصلاة » (ص١٦١): « وقول ابن مسعود « قلنا السلام على النبيّ »؛ يعني أنّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يقولون: « السلام عليك أيها النبي » في التشهد والنبي ﷺ حي، فلمّا مات عدلوا عن ذلك وقالوا: السلام على النبيّ، ولا بُدّ أن يكون ذلك بتوقيفٍ منه ﷺ ، ويؤيده أنّ عائشة ـ رضي الله عنها ـ كذلك كانت تعلّمهم التشهد في الصلاة: « السلام على النّبيّ » . رواه السراج في « مسنده » (ج٩/١/٢)، والمخلص في « الفوائد » (ج١١/٥٤/١) بسندين صحيحين عنها. =

السماء والأرض]، أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، [قال عبدالله:][وهو بين ظَهرانَينا،

= قال الحافظ - رحمه الله تعالى - :

« هذه الزيادة ظاهرها أنهم كانوا يقولون: « السلام عليك أيها النبي! » - بكاف الخطاب - في حياة النبي ﷺ ، فلمّا مات النبي ﷺ تركوا الخطاب، وذكروه بلفظ الغَيبة، فصاروا يقولون: (السلام على النبي) ».
وقال في موضع آخر :

« قال السبكي في « شرح المنهاج » - بعد أن ذكَر هذه الرواية من عند أبي عوانة وحده -: « إنْ صحّ هذا عن الصحابة ؛ دلّ على أنّ الخطاب في السلام بعد النبي ﷺ غير واجب فيقال :السلام على النبيّ » . قلت: قد صحّ بلا ريب (يعني لثبوت ذلك في « صحيح البخاري »)، وقد وجدْتُ له متابعاً قويًا ؛ قال عبد الرزاق :أخبرني ابن جريج: أخبرني عطاء أن الصحابة كانوا يقولون والنبي ﷺ حي: « السلام عليك أيها النبي » فلمّا مات قالوا: السلام على النبي »، وهذا إسناد صحيح. انتهى.

قال ابن رجب - رحمه الله - في « فتح الباري » (٥ / ١٧٦) :
« وقد اختار بعضُهم أنْ يقالَ بعد زمان النبيﷺ : « السلام على النبي »، وقد ذكرَ البخاريُّ في موضعٍ آخر من كتابه أنهم كانوا يسلِّمون على النبيِّ ﷺ بعد موته في التشهد كذلك، وهو روايةٌ عن ابن عمر وعائشة - رضي الله عنهم -.

فلمّا قُبض قلنا: السلام على النّبي"[1]].

٢- تشهّد ابن عباس: قال «كان رسول الله ﷺ يعلّمنا التشهد كما يعلّمنا السورة من القرآن فكان يقول: «التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، [الـ] سلام عليك أيها النّبيّ ورحمة الله وبركاته، [الـ] سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، و[أشهد] أن محمّداً رسول الله، وفي رواية: عبده ورسوله[2]».

٣-تشهّد ابن عمر: عن رسول الله ﷺ أنه قال في التشهد: «التحيات لله، [و] الصلوات [و] الطيبات، السلام عليك أيها النّبيّ ورحمة الله – قال ابن عمر: زدت فيها:[3] وبركاته – السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله – قال ابن عمر: وزدت فيها[4]: وحده لا شريك

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٢٦٥، ومسلم: ٤٠٢، وانظر «الإرواء» (٣٢١).

(٢) أخرجه مسلم: ٤٠٣

(٣، ٤) هاتان الزيادتان ثابتتان في التشهد عن النبي ﷺ، ولم يزدها ابن عمر من عند نفسه ـ وحاشاه من ذلك ـ، إنما أخذها عن غيره من الصحابة الذين رووها عنه ﷺ، فزادها هو على تشهده =

له – وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله[1] » .

٤ـ تشهُّد أبي موسى : قال : قال رسول الله ﷺ :

« ... وإذا كان عند القعدة : فليكن من أول قولِ أحدكم : التحيات الطيبات الصلوات لله، السلام عليك أيها النّبيّ ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له]، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله[2] » .

٥ـ تشهُّد عمر بن الخطاب : كان ـ رضي الله عنه ـ يُعلِّم الناس التشهد وهو على المنبر يقول : قولوا : « التحيات لله، الزاكيات لله الطيبات [لله]، السلام عليك . . إلخ، مثل تشهُّد ابن مسعود »[3] .

= الذي سمعه من النبي ﷺ مباشرة .

(١) أخرجه أبو داود والدارقطني وصححه .

(٢) أخرجه مسلم : ٤٠٤ .

(٣) أخرجه مالك والبيهقي بسند صحيح، وهو في حُكم المرفوع، وانظر « صفة الصلاة » (ص ١٦٤) .

٦ـ **تشهُّد عائشة**؛ قال القاسم بن محمد: كانت عائشة تعلّمنا التشهد، وتشير بيدها تقول: «التحيات، الطيبات، الصلوات، الزاكيات لله، السلام على النّبيّ...» إلخ تشهد ابن مسعود [(١)].

الشرح:

التّحيّات لله: قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ «التحيّات: جمع تحيةٍ، فُسِّرت التحيةُ بالملكِ، وفُسِّرت بالبقاءِ والدوامِ.

وفُسّرت بالسلامة، والمعنى: أنّ السلامةَ من الآفات ثابتٌ لله، واجبٌ له لذاته.

وفُسرتْ بالعظمةِ، وقيل: إنّها تجمع ذلك كلَّه، وما كان بمعناه، وهو أحسنُ.

قال ابن قتيبة: إنما قيل: «التحياتُ» بالجمع؛ لأنه كان لكلِّ واحدٍ من ملوكِهم تحيةٌ يُحيّا بها، فقيل لهم: قولوا: التحياتُ لله، أي أنّ ذلك يستحقُّه اللهُ وحدَه» [(٢)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة والسّراج والمخلص والبيهقي، والسياق له، وهو من «صفة الصلاة» (ص١٦٤).

(٢) «فتح الباري» (٥ / ١٧٤) لابن رجب ـ رحمه الله ـ.

*وخلاصة المعنى : « الألفاظ التي تدلّ على الملك والبقاء والدوام والعظمة والسلامة من الآفات، هي لله تعالى » *[1].

وقوله : « **والصلوات** » فُسرت بالعبادات جميعها، وقد رُوي عن طائفة من المتقدمين: أن جميع الطاعات صلاةٌ ، وفُسرت الصلواتُ ها هنا بالدعاء،وفُسرت بالرحمة، وفُسرت بالصلواتِ الشرعية » .

قال في « النهاية » « والصلوات لله: أي الأدعية التي يراد بها تعظيم الله تعالى هو مستحقّها ؛ لا تليق بأحدٍ سواه » .

وقوله: « **والطيباتُ** »، فُسرت بالكلمات الطيبات، كما في قوله تعالى ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** ﴾[2] فالمعنى: إنّ ما كان مِن الكلام فإنه لله ، يُثنى به عليه ويُمجد به .

وفُسرت « **الطيبات** » بالأعمال الصالحة كلِّها؛ فإنها توصفُ بالطَّيب، فتكون كلُّها لله ، بمعنى: أنه يُعبد بها ويُتقرَّب بها إليه .

---

(١) ما بين نجمتين ليس من كلام ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٢) فاطر: ١٠

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ في « الفتح » : (والطيبات)« أي : ما طاب من الكلام وحسُن أن يُثنى به على الله؛ دون ما لا يليق بصفاته؛ ممّا كان الملوك يحيّون به » .

السلام على النبي: قال شيخنا ـ رحمه الله ـ في « صفة الصلاة » : (ص ١٦١) ـ نقلاً عن بعض العلماء ـ: السلام معناه :التعويذ بالله والتحصين به ، فإنّ السلام اسم له ـ سبحانه ـ تقديره : الله عليك حفيظ وكفيل، كما يُقال : « الله معك » ؛ أي : بالحِفظ والمعونة واللطف » .

وقال ابن رجب ـ رحمه الله ـ في « فتح الباري » (٥ / ١٧٥) : وفي تفسير « السلام على فلان » قولان :

أحدُهما : أنّ المرادَ بالسلام اسم الله ـ يعني : فكأنه يقول : اسمُ اللهِ عليك .

والثاني : أن المرادَ : سلَّم الله عليكَ تسليماً وسلاماً ، ومن سلَّم الله عليه فقد سلِمَ من الآفات كلِّها .

ثم أقرَّهم أن يسلِّموا على النبيّ ﷺ بخصوصِه ابتداءً ؛ فإنه أشرف المخلوقين وأفضلهُم،وحقُّه على الأمّة أوجبُ مِن سائرِ الخلق؛ لأنّ هدايتَهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة كان

على يديه؛ بتعليمه وإرشاده ﷺ تسليماً، وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيّاً عن أُمّته....

« **ورحمةُ الله وبركاته** » قال ابن رجب - رحمه الله - « هذا مطابقٌ لقول الملائكة لإبراهيم - عليه السلام -: ﴿ **رَحْمَتُ اللهِ وبَركاتُهُ عَلَيْكم أهْلَ البيْتِ** ﴾ [1] .

ثم أَمَرهم بعد ذلك بأن يقولوا:

« **السلام علينا** »: والضميرُ عائدٌ على المصلِّي نفسه، وعلى مَن حضَره من الملائكة والمصلّين وغيرهم ».

وعلى عبادِ الله الصالحين: هو كما قال ﷺ: « فإنكم إذا قلتم ذلك؛ أصابت كلّ عبدٍ لله صالح في السماء والأرض » فيُغني ذلك ؛عن تعيين أسمائهم ، فإنّ حصْرهم لا يُمكن، وهذا من جوامع الكَلِم التي أوتيها ﷺ وقد خرّج النسائي [2] حديث ابن مسعود في التشهُد ولفظه: قال عبد الله: كُنّا لا ندري ما نقولُ إذا صلّينا ، فعلّمنا نبيّ الله ﷺ جوامع الكَلم

---

(١) هود: ٧٣.

(٢) انظر سنن النسائي (١١٦٧)، وقال شيخنا - رحمه الله - حسن صحيح.

فقال لنا « قولوا : التحيات لله . . . » [١] .

وعلى عباد الله الصالحين: الصالحون : هم القائمون بما لله عليهم من الحقوق له ولخلقه .

أشهد أن لا إله إلاّ الله : تقدّم شرح هذه الكلمة الطيبة العظيمة، وأنه لا معبود بحق إلا الله ـ تعالى ـ .

والشهادة بالحق هنا على تفرّد الله بالإلهية؛ أهمُّ ركنٍ من أركان الدين .

وحذار من الشرك، فإنه يُحبط الأعمال، قال الله تعالى : ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركْتَ ليحبَطنّ عملُك ولتكونَنَّ من الخاسرين** ﴾ [٢] .

وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله : فيه الشهادة لمحمّد ﷺ بالعبودية والرسالة ، فإنّ مقام العبودية أشرفُ مقامات الخلق، ولهذا سمّى الله محمداً ﷺ ؛ في أشرف مقاماته وأعلاها بالعبودية؛ كما قال تعالى في صفة ليلة الإسراء ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده** ﴾ [٣] وقال : ﴿ **فأوحى**

(١) انظر « فتح الباري »(٥ / ١٧٧) لابن رجب ـ رحمه الله ـ

(٢) الزمر : ٦٥ .

(٣) الإسراء : ١ .

**إلى عبده ما أوحى ﴾[١] *[٢]

قلت: واجتماع كلمتي (عبده ورسوله) - كما قال العلماء - وسط بين الإفراط والتفريط.

فـ (عبده) ردٌّ على من رفَعَه فوق مقام النبوة وغلا فيه.

و(رسوله) لمن أنكر رسالته، وجحد نبوّته، وجعله كسائر البشر.

● وفي تشهُّد ابن عباس - رضي الله عنهما - وردت كلمة [المباركات].

والمباركات: جمع مبارك اسم مفعول، من البركة وهي النماء والزيادة.

● وفي تشهُّد عمر - رضي الله عنه - وردت كلمة (**الزاكيات**): أصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح، وكلّ ذلك قد استعمل في القرآن والحديث[٣].

---

(١) النجم: ١٠.

(٢) ما بين نجمتين من «فتح الباري» (٥/ ١٧٨) لابن رجب - رحمه الله -.

(٣) انظر «النهاية».

مِن صِيغ الصلاة على النّبيّ ﷺ في التشهّد[1]

١ـ « اللهمّ صلّ على محمّد، وعلى أهل بيته، وعلى أزواجه وذرّيته؛ كما صلّيتَ على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد ، وبارِك على محمّد، وعلى آل بيته، وعلى أزواجه وذرّيته؛ كما باركْتَ على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد » . وهذا كان يدعو به هو نفسه ﷺ[2] .

٢ـ « اللهم صلِّ على محمّد، وعلى آل محمّد؛ كما صلّيت على [إبراهيم، وعلى] آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارِك على محمّد، وعلى آل محمّد؛ كما باركْتَ على [إبراهيم، وعلى] آل إبراهيم، إنك حميد مجيد »[3] .

---

(١) عن « صفة الصلاة » (ص١٦٥) .

(٢) أخرجه أحمد والطحاوي بسند صحيح، والشيخان دون قوله ﷺ « أهل بيته » وانظر« صحيح البخاري » : ٣٣٦٩، و« صحيح مسلم » : ٤٠٧ .

(٣) أخرجه البخاري: ٣٣٧٠، ومسلم: ٤٠٦، والنسائي في=

٣- « اللهم صلّ على محمّد [النّبيّ الأمّي]، وعلى آل محمّد ؛ كما صلّيتَ على [آل] إبراهيم، وبارِك على محمّد [النّبيّ الأمّي] وعلى آل محمّد ؛ كما باركت على [آل] إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد »[١].

٤- « اللهم صلّ على محمّد و [على] أزواجه وذريته؛ كما صلّيتَ على [آل] إبراهيم، وبارِك على محمّد و [على] أزواجه وذريته؛ كما باركْتَ على [آل] إبراهيم، إنك حميد مجيد »[٢].

٥- « اللهم صلّ على محمّد، وعلى آل محمّد، وبارِك على محمّد، وعلى آل محمّد، كما صلّيت وباركتَ على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد »[٣].

= « عمل اليوم والليلة »، والحميدي وابن منده وقال: هذا حديث مُجمعٌ على صحَّته.

(١) أخرجه مسلم: ٤٠٥، وأبو عوانة وابن أبي شيبة في « المصنف » وأبو داود والنسائي وصححه الحاكم.

(٢) أخرجه البخاري: ٣٣٦٩، ومسلم: ٤٠٧، والنسائي.

(٣) أخرجه النسائي والطحاوي، وأبو سعيد ابن الأعرابي في « المعجم ».

الشرح :

اللهم صلّ على محمد : قال شيخنا - رحمه الله - في كتاب « صفة الصلاة » (ص ١٦٥) : « أولى ما قيل في معنى الصلاة على النبي ﷺ ؛ قول أبي العالية : صلاة الله على نبيه : ثناؤه عليه وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم عليه : طَلَب ذلك من الله - تعالى - والمراد طلبُ الزيادة لا طلب أصْلِ الصلاة .

ذكَره الحافظ في « الفتح » وردَّ القول المشهور أنّ صلاة الربّ الرحمة ، وفصّل ذلك ابن القيم في « جلاء الأفهام » بما لا مزيد عليه، فراجعْه » .انتهى .

قلت : وقول أبي العالية : قد ذكَره الامام البخاري - رحمه الله - معلّقاً بلفظ : صلاة الله - تعالى - ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء، وقال ابن عباس يُصلّون : يبرّكون .

قال الله تعالى : ﴿ **إنَّ اللهَ ومَلائكَتَه يُصلّونَ عَلى النّبي يا أيها الّذِينَ آمنَوا صَلّوا عَليه وسَلّموا تَسليماً** ﴾[1] .

---

(١) الاحزاب :٥٦ .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « والمقصود من هذه الآية أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيّه عنده في الملأ الأعلى؛ بأنه يُثني عليه عند الملائكة المقرّبين ، وأنّ الملائكة تصلّي عليه، ثمّ أمَر ـ تعالى ـ أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعاً » .

وقال ابن القَيِّم ـ رحمه الله ـ في ـ وصْف الصلاة على النبيّ ﷺ ـ: « وهي ثناء الله ـ تعالى ـ عليه وتكريمه ، والتنويه به، ورفْع ذِكره ، وزيادة حبّه وتقريبه »[١] .

وعلى أهل بيته وعلى أزواجه وذرِّيته: قالوا: هذا يفسّر الحديث الآخر ، وفيه :« اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد[٢] » .

ويُبيّن أَنّ آل محمّدٍ هم أَزواجه وذرّيتُه ، قالوا: والآل

---

(١) انظر « جلاء الأفهام » (١٧٥) .

(٢) وسيأتي في الصيغة الثانية من الأدعية ـ إن شاء الله تعالى ـ.

والأَهل سواء، وآل الرجل وأَهلُه سواء: وهم الأزواج والذرّية بدليل هذا الحديث[1].

وأزواجه ﷺ هنّ:

١ـ خديجة بنت خويلد .

٢ـ سودة بنت زمعة .

٣ـ عائشة بنت أبي بكر.

٤ـ حفصة بنت عمر.

٥ـ أُم حَبِيبَة بنت أبي سفيان .

٦ـ أُمّ سلمة .

٧ـ زينب بنت جحش .

٨ـ زينب بنت خزيمة .

٩ـ جويرية بنت الحارث .

١٠ـ صفية بنت حُيَيّ .

---

(١) عن «جلاء الأفهام» بتصرُّف يسيرٍ، وهذا سيأتي في الحاشية ـ إن شاء الله تعالى ـ بعد قُرابة عشرين صفحة.

١١- ميمونة بنت الحارث

رضي الله عنهن ، وعن الصحابة أَجمعين .

و ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - ، هي آخر مَن تزوج النبي ﷺ من أُمهات المؤمنين، فهؤلاء جملة مَن دخَل بهنّ من النساء ، وهنّ إِحدى عشرة .[١] .

وذرّيته : مِن ذَرَأ الله الخلق؛ أي نشَرَهم وأظهرَهم.[٢]

ولاخلاف بين أهل اللغة أَنّ الذرّية؛يقال على الأولاد الصغار، وعلى الكبار أيضاً ، قال تعالى ﴿**إنّ الله اصطَفى آدمَ ونوحاً وآل إبراهيمَ وآل عمران على العالمين ذريةً بعضها من بعض**﴾[٣] .

ويدخل في الذريّة الأولادُ وأولادُهم. [٤] .

---

(١) عن « جلاء الأفهام » بتصرّف يسير (١٣٦) .

(٢) انظر « جلاء الأفهام » (ص ١٣٨) .

(٣) آل عمران :٣٣، ٣٤ .

(٤) انظر « جلاء الأفهام » (ص١٤١) .

كما صلّيت على آل ابراهيم: هم ذرّيته من اسماعيل وإِسحاق؛ كما جزَم به جماعةٌ من الشُّرّاح، وإِنْ ثبت أن إِبراهيم ﷺ كان له أولاد من غير سارة وهاجر؛ فهم داخلون لا محالةَ...[1].

قال ابن القيّم - رحمه الله - في «جلاء الأفهام» (ص١٤٣): «إِبراهيم بالسريانية معناه: «أبٌ رحيم» والله - سبحانه وتعالى - جعَل إِبراهيم الأب الثالث للعالم؛ فإِنّ أبانا الأول آدم، والأب الثاني نوح، وأهل الأرض كلّهم من ذرّيته، كما قال - تعالى - ﴿**وجَعَلْنا ذرّيتَه هُم البَاقِين**﴾[2].

ثمّ قال - رحمه الله بعد كلام نافع -: «والمقصود أنّ إِبراهيم - عليه السلام - هو أبونا الثالث، وهو إِمام الحنفاء، وتُسمّيه أهل الكتاب عمودَ العالَم، وجميع أَهلِ المِلَل متفقة على تعظيمه وتولية محبتّه، وكان خيرُ بنيه سيد ولدِ آدم محمد ﷺ؛ يجلُّه ويعظّمه ويبجّله ويحترمه.

---

(١) «الفتح»: (١١/ ١٦٢).

(٢) الصافات: ٧٧.

[وفي] حديث المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا خير البرّية، فقال رسول الله ﷺ : ذاك إبراهيم »[1].

وثبت في « صحيح البخاري » من حديث سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: « إنّكم محشورون حفاة عراة غُرلا ثمّ قرأ ﴿ **كَمَا بَدَأْنا أوّلَ خَلْقٍ نعيدُهُ وعْداً علينا إنَّا كُنَّا فاعلينَ** ﴾ وأوّل من يُكسى يوم القيامة إبراهيم ».

وكان رسول الله ﷺ أشبهَ الخلق به، كما في « الصحيحين » عنه قال: رأيت إبراهيم، فإذا أقرب الناس شبَهاً به بصاحبكم » يعني نفسَه ﷺ ، وفي لفظٍ آخر « فانظروا إلى صاحبِكم ».

وكان ﷺ يُعوّذ أولاد ابنته: حسناً وحسيناً؛ بتعويذ إبراهيم لإسماعيل وإسحاق.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٦٩)، وانظر للمزيد من الفائدة ـ إن شئت ـ « الصحيحة » تحت الحديث (٣٣٤٤).

ففي « صحيح البخاري »، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: « وكان النبي ﷺ يُعوّذ الحسنَ والحسينَ ويقول: إنّ أباكما كان يعوّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامّة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة ».

وكان ﷺ أوّل من قَرى الضيف، وأول من اختتن، وأول من رأى الشيب فقال: « ماهذا ياربّ؟ قال: وقار. قال: ربّ زدني وقارا »[1].

وتأمّل ثناء الله - سبحانه - عليه في إكرام ضيفه الملائكة حيث يقول سبحانه: ﴿ **هَلْ أتاك حَديثُ ضَيف إبراهيمَ المُكرَمينَ. إذ دَخلوا عليْه فقالُوا سَلاَماً، قالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ. فَراغَ إلى أهله فجاءَ بِعجْلٍ سمينٍ. فَقَرَّبه إليهم قالَ ألاَ تأكُلُونَ** ﴾[2].

---

(١) انظره في « صحيح الأدب المفرد » برقم (٩٤٦) وقال شيخنا - رحمه الله -: « صحيح الإسناد موقوفاً ومقطوعاً ».

(٢) الذاريات: (٢٤، ٢٧).

ففي هذا ثناء على إبراهيم من وجوهٍ متعددة:

أحدها: أنه وصَف ضيفَه بأنهم مُكرَمون، وهذا على أحد القولين؛ أنه إكرام إبراهيم، والثاني: أنهم المكرَمون عند الله، ولا تنافي بين القولين، فالآية تدلّ على المعنيين.

الثاني: قوله ﴿ **إذ دَخَلوا عليه** ﴾، فلم يذكر استئذانهم، ففي هذا دليلٌ على أنه ﷺ كان قد عُرف بإكرام الضِّيفان واعتيادِ قراهم، فبقي منزله مطروقاً للضيفان لمن ورَدَه لا يحتاج إلى الاستئذان، بل استئذان الداخلِ دخولُه. وهذا غايةُ ما يكون من الكَرم.

الثالث: قوله ﴿ **سلامٌ** ﴾ - بالرفع - وهم سلَّموا عليه - بالنصب - والسلامُ بالرفع أكمل؛ فإنه يدلّ على الجملة الاسمية؛ الدالة على الثبوت والتجدد، والمنصوب يدلّ على الفعلية الدالة؛ على الحدوث والتجدد، فإبراهيم حيّاهم بتحيةٍ أحسن من تحيتهم، فإنّ قولهم ﴿ **سلاماً** ﴾ يدلّ على سلَّمنا سلاماً. وقوله ﴿ **سلامٌ** ﴾ أي: سلام عليكم.

الرابع: أنه حذَف المتبدأ من قوله ﴿ **قومٌ مُنكَرون** ﴾، فإنه لما أنكَرهم ولم يعرفهم؛ احتشم مِن مواجهتهم بلفظٍ

يُنفّر الضيف؛ لو قال: أنتم قوم منكرون، فحذْف المبتدأ هنا من ألطف الكلام.

الخامس: أنه بنى الفعل للمفعول، وحذَف فاعله فقال: ﴿ **مُنكَرون** ﴾ ولم يقل إني أنكركم، وهو أحسن في هذا المقام وأبعد؛ من التنفير والمواجهة بالخشونة.

السادس : أنه راغَ إلى أهله؛ ليحيِّيهم بنزلهم - والرَّوغان هو الذَّهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر به - وهذا من كَرَم ربّ المنزل المضيّف؛ أنه يذهب في اختفاء بحيث لا يشعر به الضيف، فيشقّ عليه ويستحي فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام ؛ بخلاف من يُسمع ضيفَه،ويقول له أو لمن حضَر: مكانَكم حتى آتيَكم بالطعام ، ونحو ذلك مما يوجب حياءَ الضيفِ واحتشامَه.

السابع: أنه ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة ، فدلَّ على أنّ ذلك كان مُعداًّ عندهم مهيئاً للضِّيفان، ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم، من جيرانه أو غيرهم فيشتريَه أو يستقرضَه.

الثامن: قوله ﴿ **فَجَاءَ بِعِجلٍ سَمين** ﴾ دلّ على خدمته

للضيف بنفسه ، ولم يقل: فأمَر لهم، بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه، ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف .

التاسع : أنه جاء بعِجلٍ كامل، ولم يأت ببعضِه منه، وهذا من تمامِ كرمه ﷺ .

العاشر : أنه سمينٌ لا هزيل ، ومعلوم أنّ ذلك من أفخر أموالهم، ومثلُهُ يُتخذ للاقتناءِ والتربيةِ ، فآثرَ به ضيفانه .

الحادي عشر : أنه قرَّبه إليهم بنفسه، ولم يأمر خادِمه بذلك .

الثاني عشر : أنه قرَّبه إليهم، ولم يُقرِّبهم إليه، وهذا أبلغُ في الكرامة؛ أن تُجلِسَ الضيف ثم يُقرَّب الطعامُ إليه، ويحمله إلى حضرته، ولا تضع الطعام في ناحية ، ثم تأمرَ ضيفك بأن يتقربَ إليه .

الثالث عشر : أنه قال ﴿ **ألا تأكلون** ﴾ ، وهذا عرض وتلطُّف في القول ، وهو أحسن من قوله: كلوا أو مُدُّوا أيديكم ونحوها، هذا مما يُعلَم بعقولهم حُسْنُه ولُطفُه، ولهذا يقولون: بسم الله، أو ألا تتصدّق ، أو ألا تجبُر، ونحوَ ذلك .

الرابع عشر: أنه إنما عرض عليهم الأكل؛ لأنه رآهم لا يأكلون، ولم يكن ضيوفُه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل، بل كان إذا قَدَّم إليهم الطعام أكلوا، وهؤلاء الضيوف لمّا امتنعوا من الأكل؛ قال لهم: ألا تأكلون، ولهذا أوجس منهم خيفة، أي: أحسَّها وأضمَرَها في نفسه، ولم يُبدها لهم.

الخامس عشر: فإنهم لمّا امتنعوا من الأكل لطعامه خاف منهم ولم يُظهِر لهم، فلمّا علمت الملائكة منه ذلك؛ قالوا: لا تخَفْ وبشَّروه بالغلام.

فقد جمعَت هذه الآيةُ آدابَ الضيافة التي هي أشرف الآداب .....

وقد شهد الله ـ سبحانه ـ بأنه وفّى ما أُمِر به، فقال تعالى: ﴿ **أمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا في صُحُفِ مُوسَى . وإبْراهيمَ الّذي وَفَّى** ﴾[1].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وفَّى جميع شرائع

---

(١) النجم: ٣٦، ٣٧.

الإسلام، ووفّى ما أُمِر به من تبليغ الرسالة، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ **وإذ ابْتَلى ابْراهيمَ ربُّه بكَلمَاتٍ فأتمهنَّ قالَ إنِّي جاعلُك للنَّاسِ إماماً** ﴾[1] فلمّا أتّم ما أمَرَ ربه من الكلمات؛ جعله الله إماماً للخلائق يأتمون به.

وكان ﷺ كما قيل: قلبُه للرحمن، وولده للقُربان، وبدنه للنيران، وماله للضِّيفان.

ولما اتخذه ربُّه خليلا ـ والخُلة هي كمال المحبة، وهي مرتبة لا تقبل المشاركة والمزاحمة ـ وكان قد سأل ربه أن يهبَ له ولداً صالحاً، فوهَب له إسماعيل، فأخَذ هذا الولد شعبةً من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله؛ أن يكون فيه مكانٌ لغيره، فامتحنه بذبحه، ليظهر سرُّ الخُلّة في تقديمه محبة خليلِه على محبة ولده، فلمّا استسلم لأمر ربه وعزمَ على فعله، وظهر سلطان الخُلّة؛ في الإقدام على ذَبح الولد إيثاراً لمحبة خليله على محبته؛ فمسَح الله ذلك عنه، وفَدَاه بالذِّبح العظيم، لأنّ المصلحة في الذبح، كانت ناشئة من

---

(١) البقرة: ١٢٤

العـزم وتوطين النفس على مـا أُمـر به، فلمّـا حـصَلَت هذه المصلحة؛ عادَ الذبح نفسُه مشقة، فنُسخ في حقّه، فصارت الذبائحُ والقرابين من الهدايا والضحايا سُنَّةً في أتباعه؛ إلى يوم القيامة.

وهو الذي فتَح للأمّة بابَ مناظرةِ المشركين وأهل الباطل، وكسَر حُجَجَهم وقد ذكَر الله ـ سبحانه ـ مناظرته في القرآن مع إمام المعُطّلين ، ومناظَرته مع قومه المشركين، وكسر حُجج الطائفتين بأحسن مناظرة، وأقربَها إلى الفهم وحصولِ العلم.

قال تعالى: ﴿ **وتلْكَ حُجَّتنا آتَيناها إبْراهيم علَى قَوْمِه نَرفَع دَرجاتٍ من نشَاءُ** ﴾[1].

قال زيد بن أسلم وغيره: بالحجة والعلم؛ ولما غُلب أعداء الله معه بالحجة، وظهرت حُجتُه عليهم، وكسَر أصنامهم ،فكَسر حُججَهم ومعبودَهم ، همُّوا بعقوبته وإلقائه في النار، وهذا شأنُ المبطلين إذا غُلبوا وقامت عليهم

---

(١) الأنعام: ٨٣.

الحُجّة؛ همُّوا بالعقوبة؛ كما قال فرعون لموسى - وقد أقام عليه الحُـجّـة - ﴿ لَئنِ اتَّخـذْت إلهـاً غـيـري لأجـعَلنَّك من المَسجونينَ ﴾[1] فأضرموا له النار وألقوه في المنجنيق.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى - :

﴿ الَّذينَ قَـالَ لَهُمُ النَّاس إنَّ الناسَ قَـدْ جـمَـعُـوا لَكُم فـاخْـشَـوْهُم فَـزَادهم إيماناً وقَـالوا حَـسْـبُنا اللّٰهُ ونِعْم الوكيلُ[2] ﴾[3].

قـالـهـا نبـيّكم، وقـالـهـا إبراهيم حين أُلقي في النار، فجَعل الله - سبحانه - عليه النار برداً وسلاماً.

وقد ثبت في « صحيح البخاري » من حديث أمّ شريك « أنّ النبي ﷺ أمر بقتل الوزغ[4] وقال: كانت تنفخ على إبراهيم ».

وهو الذي بنى بيت الله، وأَذَّن في النّاس بحجِّه، فكلّ

---

(١) الشعراء: ٢٩.

(٢) آل عمران: ١٧٣.

(٣) أخرجه البخاري: ٤٥٦٣.

(٤) الوزغ: سامٌّ أَبرص وهو نوع من الزحافات.

من حَجِّه واعتمرَه، حصل لإبراهيم من مزيد ثواب الله وإكرامه؛ بعدد الحُجّاج والمعتمرين ،قال تعالى : ﴿ **وإذْ جَعلنا البَيْت مَثَابةً للنّاس وأمنا واتخِذُوا من مَقامِ إبراهيم مُصلّى** ﴾[1]

فأمرَ نبيَّه ﷺ وأمتّه أن يتخذوا مِن مقام إبراهيم مُصَلّى؛ تحقيقا للاقتداء به، وإحياءِ آثارِه ، صلى الله على نبيّنا وعليه وسلّم .

ومناقبُ هذا الإمامِ الأعظم والنبيِّ الأكرم، أجلُّ من أن يحيط بها كتاب، وإِنْ مدَّ الله في العمر؛ أفردْنا كتاباً في ذلك يكون قطرة في بحر فضائله أو أقلّ .

جَعَلَنا الله ممن ائتمّ به، ولا جَعلنا ممن عَدَل عن مِلّته؛ بمنّه وكرمه » .انتهى .

إنّك حميدٌ مجيد : الحميد : فعيل من الحمد معنى محمود ، وأبلغ منه، وهو مَن حصل له من صفات الحمد أكملُها ، وقيل: هو بمعنى الحامد ؛ أي: يحمد أفعال عباده .[2]

---

(١) البقرة: ١٢٥ .

(٢) «الفتح» (١١ / ١٦٣) .

وقال ابن جرير ـ رحمه اللهٰ ـ في تفسير قوله تعالى :

﴿ **إنهُ حميدٌ مجيد** ﴾[1] ، « إنّ اللهٰ محمودٌ في تفضّله عليكم؛ بما تفضّل به من النّعم عليكم، وعلى سائر خلْقه.

مجيد : ذو مجْدٍ ومدحٍ وثناءٍ كريم » .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: « أي هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله محمودٌ ممجَّد في صفاته وذاته[2] » .

وجاء في « النهاية » : « المجد في كلام العرب : الشرف الواسع ، ورجل ماجد : مفضال كثير الخير شريف، والمجيد فعيل منه للمبالغة[3] » .

وقال ابن القَيّم ـ رحمه اللهٰ ـ : « وقد خُتمت الصلاة على النبي ﷺ باسمين من أسماء اللهٰ ـ سبحانه ـ وهما : الحميد المجيد .

فالحميد؛ فعيل مِن الحمد، وهو بمعنى محمود ، وأكثر ما يأتي (فعيلاً) في أسمائه ـ تعالى ـ بمعنى (فاعل)

---

(١) هود : ٧٦ .

(٢) وتقدّم في أدعية الاعتدال من الركوع .

(٣) وتقدّم في أدعية الاعتدال من الركوع أيضاً .

كسميع وبصير وعليم وقدير......

وأمّا الودود ففيه قولان:

أحدهما: أنه بمعنى فاعل، وهو الذي يحِبّ أنبياءه ورسله وأولياءه وعباده المؤمنين.

والثاني: أنه بمعنى مودود، وهو المحبوب الذي يستحق أن يُحَبّ الحب كله، وأن يكون أحب إلى العبد مِن سَمْعه وبصره ونفسه، وجميع محبوباته.

وأمّا الحميد؛ فلم يأت إلاّ بمعنى المحمود، وهو أبلغ من المحمود، فإنّ (فعيلا) إذا عدل به عن (مفعول) دلّ على أن تلك الصفة قد صارت مثل السجية الغريزية والخلق اللازم، كما إذا قلت: فلانٌ ظريف أو شريف أو كريم، ولهذا يكون هذا البناء غالباً من (فَعُل) بوزن شَرُف.

وهذا البناء من أبنية الغرائز والسجايا اللازمة، ككبُر وصغُر وحسُن ولطُف ونحو ذلك.

ولهذا كان حبيب أبلغ من محبوب، لأنّ المحبوب هو الذي حصلت فيه الصفات والأفعال التي يُحَبّ لأجلها، فهو حبيب في نفسه، وإن قُدّر أنّ غيرَه لا يحبه لعدم شعوره

به، أو لمانعٍ منَعَه من حبه، وأمّا المحبوب فهو الذي تعلَّق به حُبّ المحب، فصار محبوباً بحب الغير له.

وأمّا الحبيب؛ فهو حبيبٌ بذاته وصفاته تعلَّق به حُبّ الغير أو لم يتعلّق، وهكذا الحميد والمحمود.

فالحميد؛ الذي له من الصفات وأسباب الحمد، ما يقتضي أن يكون محموداً؛ وإن لم يحمَدْه غيره، فهو حميد في نفسه، والمحمود؛ من تعلق به حَمْد الحامدين، وهكذا المجيد والممجّد والكبير والمكبَّر والعظيم والمعظّم.

والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كلّه، فإنّ الحمد، يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحببتَه ولم تُثْنِ عليه؛ لم تكن حامداً له.

وكذا من أثنيتَ عليه لغرض ما ولم تحبَّه؛ لم تكن حامداً له، حتى تكون مثنياً عليه محبّاً، وهذا الثناء والحبّ تبَعٌ للأسباب المقتضية له ـ وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال ونعوت الجلال والإحسان إلى الغير ـ فإنّ هذه هي أسباب المحبّة وكلما كانت هذه الصفاتِ أجمعَ وأكمل؛ كان الحمدُ والحبُّ أتمَّ وأعظم، والله ـ سبحانه ـ له الكمال

المطلق الذي لا نقص فيه بوجهٍ ما ، والإحسان كله له ومنه، فهو أحقّ بكل حمد، وبكل حبٍّ من كل جهة.

فهو أهلٌ أن يُحَبّ لذاته، ولصفاته، ولأفعاله، ولأسمائه، ولإحسانه،ولكل ما صدر منه ـ سبحانه ـ.

وأمّا المجد فهو مستلزم للعظمة والسعَة والجلال؛ كما يدل عليه موضوعه في اللغة، فهو دالٌّ على صفات العظمة والجلال، والحمد يدلّ على صفات الإكرام، والله ـ سبحانه ـ ذو الجلال والإكرام.

وقد شُرع للداعي أن يختم دعاءه باسمٍ من الأسماء الحسنى؛ يُناسب لمطلوبه، أو يفتتح دعاءه به وهذا من قوله: ﴿ **ولله الأسماءُ الحُسْنى فادعُوهُ بها** ﴾[1].

وقال سليمان ـ عليه السلام ـ في دعائه ربَّه: ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لي وَهَب لي مُلْكاً لا ينبَغي لأحَدٍ مِن بَعْدي إنَّكَ أنْتَ الوهّابُ** ﴾[2].

---

(١) الأعراف : ١٨٠.

(٢) ص:٣٥.

وقال الخليل وابنه اسماعيل في دعائهما: ﴿ **رَبَّنا واجْعَلنا مُسلمَين لَكَ ومن ذُرِّيَّتنا أُمَّةً مُسلمةً لَك وأرِنا مناسِكَنا وتُبَ عَلَيْنا إنَّك أنت التَّوَّاب الرَّحيمُ** ﴾[1].

وكان النبيّ ﷺ يقول: « ربِّ اغفر لي وتُبْ عليّ؛ إنك أنت التواب الغفور »، مائة مرة في مجلسه[2].

وقال لعائشة - رضي الله عنها - وقد سألَتْه: إنْ وافَقَت ليلة القدر ما أدعو به؟

قال قولي: « اللهم إنكَ عفُوٌّ تحبّ العفو؛ فاعف عني »[3].

فلمّا كان المطلوب للرسول ﷺ حَمْد ومَجْد بصلاة الله عليه؛ خُتِم هذا السؤال باسمَي « الحميد والمجيد »، وأيضاً فإنه لمّا كان المطلوب للرسول ﷺ حمد ومجد، وكان

---

(١) البقرة: ١٢٨.

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » وغيره، وانظر « الصحيحة » (٥٥٦).

(٣) أخرجه أحمد وابن ماجه « صحيح سنن ابن ماجه » (٣١٠٥)، والترمذي « صحيح سنن الترمذي » (٢٧٨٩)، وصحّحه شيخنا - رحمه الله - في « المشكاة » (٢٠٩١).

ذلك حاصلاً له؛ خُتم ذلك بالإخبار عن ثبوت ذينك الوصفين للربّ بطريق الأولى، وكل كمالٍ في العبد غير مستلزم للنقص، فالربّ أحقّ به»[1]. انتهى.

والخلاصة: أنّه لمّا كان المصلّي يدعو بالحمد والمجد للنبيّ ﷺ اختتم دعاءَه بقوله: «إنّك حميد مجيد».

وكأنّ الداعي يقول: اللهم هب رسولَ الله ﷺ حمداً ومجداً؛ إنك أنت الحميد المجيد.

وبارِك على محمّد، وعلى أهل بيته، وعلى أزواجه وذريّته؛ كما باركْتَ على آل إبراهيم:* والبركة: النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء بذلك، وفي القرآن ﴿ **بُورِكَ مَن في النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾[2].

وفيه﴿ **وَبَاركنا عليه** ﴾[3].

والمبارك الذي قد باركه الله - سبحانه - كما قال المسيح

---

(١) انظر «جلاء الأفهام» (١٧٣ - ١٧٥).

(٢) النمل: ٨.

(٣) الصافات: ١١٣.

-عليه السلام - ﴿ وجَعَلنِي مُبَاركا أَينَما كُنْتُ ﴾[1] .وكتابه مبارك ﴿ وهذَا ذِكْرٌ مُبَارك أنزلناهُ ﴾[2] وهو [أي الكتاب] أحقّ أن يُسمّى مباركاً من كل شيء؛ لكثرة خيره ومنافعه ووجوه البركة فيه، والربّ - تعالى - يُقال في حقّه « تبارك » ولا يُقال: « مبارك » .

فهذا الدعاء يتضمّن إعطاءَه من الخير ما أَعطاه لآلِ إبراهيم وإِدامتَه وثبوته له، ومضاعفتَه له وزيادتَه ، هذا حقيقة البركة*[3] .

● **اللهم صلِّ على محمّد، وعلى آل محمّد**[4] .

وعلى آل[5] **محمّد**: اختلف العلماء في آل النبي ﷺ

---

(١) مريم: ٣١ .

(٢) الأنبياء: ٥٠

(٣) ما بين نجمتين ملتقَطٌ من « جلاء الأفهام » (١٦٥-١٦٩) .

(٤) سألْتُ شيخنا - رحمه الله - « ما هي صيغة الصلاة على النبيّ ﷺ التي أُمِرنا بها، والتي تُقال عقب الدعاء؟ فأجاب « اللهم صلّ على محمد وعلى آله وسلّم » قلت: وهذا الجواب مستقى؛ من مجموع الصِّيغ بعد التأمُّل . والله - تعالى - أعلم .

(٥) قيل: أَصل آل (أهل) وقيل: (أولَ مِنْ آل) وانظر التفصيل في « الفتح » (١١ / ١٦٠) .

على أقوال، أصحها قولان :

الأول: أنهم الذين حُرِّمت عليهم الصدقة، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء:

١ـ أنهم بنو هاشم، وبنو المطلب

٢ـ أنهم بنو هاشم خاصّة.

٣ـ أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب.

الثاني: أنهم ذرّية النبي ﷺ وأزواجه خاصّة[1].

---

(١) قال: ابن القيم ـ رحمه الله ـ «جلاء الأفهام» (ص ١٠٩): «واختُلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال:

فقيل: هم الذين حُرِّمت عليهم الصدقة، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء:

أحدها: أنهم بنو هاشم، وبنو المطلب، هذا مذهب الشافعي وأحمد ـ رحمهما الله تعالى ـ في رواية عنه.

والثاني: أنهم بنو هاشم خاصّة. وهذا مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ والرواية عن أحمد ـ رحمه الله ـ، واختيار ابن القاسم صاحب مالك.

والثالث: أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب، فيدخل فيهم بنو المطلب وبنو أميّة، وبنو نوفل، ومن فوقهم إلى بني غالب، وهو اختيار أشهب من أصحاب مالك، حكاه صاحب الجواهر عنه، =

● كما صليتَ على إبراهيم....: جاء في « صفة الصلاة » (ص ١٦٨) : « ..اشتهر التساؤل بين العلماء؛ عن وجه التشبيه في قوله: « كما صلّيت » إلخ ؛ لأنّ المقرر أنّ المشبَّه دون المشبَّه به، والواقع هنا عكسُه، إذ أنّ محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم ، وقضية كونه أفضل ؛ أنْ تكون الصلاة

= وحكاه اللخمي في التبصرة عن أصبغ، ولم يحكه عن أشهب .

وهذا القول : في الآل ـ أعني أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة ـ هو منصوص الشافعي ـ رحمه الله ـ وأحمد والأكثرين، وهو اختيارجمهور أصحاب أحمد والشافعي.

والقول الثاني: أنّ آل النبي ﷺ هم ذريته و أزواجه خاصّة. حكاه ابن عبد البر في « التمهيد » قال في باب عبد الله بن أبي بكر؛ في شرح حديث ؛أبي حميد الساعدي: استدل قوم بهذا الحديث على أنّ آل محمد؛ هم أزواجه وذريته خاصّة؛ لقوله في حديث مالك، عن نعيم المجمر، وفي غير حديث مالك: « اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمّد » .

وفي هذا الحديث ـ يعني حديث أبي حميد ـ : « اللهم صلِّ على محمد و أزواجه وذريته » .

قالوا: فهذا يفسر ذلك الحديث ، ويُبيّن أنّ آل محمد؛ هم=

المطلوبة أفضل من كل صلاةٍ حصَلَت أو تحصُل، وأجاب

= أزواجهُ وذرّيتُه.

قالوا: فجائز أن يقول الرجل؛ لكل من كان مِن أزواج محمد ﷺ ومن ذريته: « صلى الله عليك »إذا واجهه، و« صلى الله عليه » إذا غاب عنه، ولا يجوز ذلك في غيرهم.

وقالوا: والآل والأهل سواء. وآل الرجل وأهله سواء، وهم الأزواج والذرية؛ بدليل هذا الحديث.

والقول الثالث: أنّ آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم.

وأقدم من روي عنه هذا القول جابر بن عبدالله ذكره البيهقي عنه، ورواه عن سفيان الثوري وغيره، واختاره بعض أَصحاب الشافعي، حكاه عنه أبو الطبري في تعليقه، ورجحه الشيخ محيي الدين النووي في « شرح مسلم» واختاره الأزهري.

والقول الرابع :أنّ آله ﷺ هم الأتقياء من أمّته، حكاه القاضي حسين، والراغب، وجماعة».

وقد عَقَد العلامة ابن القيّم -رحمه الله- فصلاً في ذِكْر حجج هذه الأقوال وأَدلّتها، وتبيين ما فيها من الصحيح والضعيف، فقال: « فأمّا القول الأول : وهو أنّ الآلَ؛ من تحرُم عليهم الصدقة؛ على ما فيهم من الاختلاف فحجّته مِن وجوه: =

العلمــاء عن ذلك بأجــوبةٍ كــثــيــرة تراها في « الفــتــح » و« الجلاء »، وقـد بلغت نحو عـشـرة أقـوال ؛ بعـضـهـا أشدّ

= **أحدهما** : ما رواه البخاري في « صحيحه »؛ [١٤٨٥] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال « كان رسول الله ﷺ يؤتى بالتمر عند صرام النخل ،فيجيء هذا بتمره، وهذا من تمره، حتى يصير عنده كومٌ من تمر، فجعل الحسن والحسين - رضي الله عنهما - يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرةً فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ ، فأخرجها من فيه، فقال : أما علمْتَ أنّ آل محمد ﷺ لا يأكلون الصدقة؟! » .

ورواه مسلم وقال : « إنّا لا تحل لنا الصدقة » .

الثاني : ما رواه مسلم في « صحيحه » عن زيد بن أرقم : « قام رسول الله ﷺ يوماً خطيبا فينا بماءٍ يدعى خمّاً [غدير مشهور على بعد ثلاثة أميال من الجحفة] . بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه وذكَّر ووعظ ثم قال :

أمّا بعد ؛ ألا أيها الناس إنما أنا بشر؛ يوشك أن يأتيني رسول ربّي - عزّ وجلّ - وإني تاركٌ فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله - عزّ وجلّ - فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، وقال : وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي . =

ضعفاً من بعض؛ إلا قولاً واحداً ، فإنّه قوي، واستحسَنَه شيخ الاسلام وابن القيّم، وهو قولُ مَن قال :

= فقال حصين: ومَن أهلُ بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال إنّ نساءه من أهل بيته، ولكنْ أهل بيته من حُرم الصدقة بعده قال : ومن هم؟ قال : هم آل عليّ. وآل عقيل. وآل جعفر ، وآل عبّاس، قال كلُّ هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال : نعم » .

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال : « إنّ الصدقة لا تحلّ لآل محمد » .

الدليل الثالث : ما في « الصحيحين » من حديث الزهري، عن عروة، عن عائشة - رضي الله عنها - : « أنّ فاطمة أرسلت إلى أبي بكر - رضي الله عنهما - تسأله ميراثها من النبي ﷺ مما أفاء الله على رسوله ﷺ ، فقال أبو بكر : إنّ الرسول ﷺ قال : « لا نورَث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال . يعني : مال الله ليس لهم أن يزيدوا على المأكل » .

فآله ﷺ لهم خواصّ : منها حرمان الصدقة، ومنها أنهم لا يرثونه، ومنها استحقاقهم خُمس الخُمس، ومنها اختصاصهم بالصلاة عليهم.

وقد ثَبَتَ أنّ تحريم الصدقة، و استحقاق خُمس الخُمس، وعدم توريثهم؛ مختصٌّ ببعض أقاربه ﷺ ، فكذلك الصلاة على آله . =

« إنّ آل ابراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طُلِب للنبي ﷺ ولآله من الصلاة عليه مِثل ما

= **الدليل الرابع**: ما رواه مسلم من حديث ابن شهاب ، عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل الهاشمي :« أن عبد المطلب بن ربيعة أخبره أن ربيعة بن الحارث قال: لعبد المطلب بن ربيعةَ ، وللفضل بن العباس -رضي الله عنهما- ائتيا رسول الله ﷺ ، فقولا له استعملنا يا رسول الله على الصدقات -فذكَر الحديث -وفيه: فقال لنا : إنّ هذه الصدقة؛ إنما هي أوساخُ الناس وإنها لا تحلّ لمحمد ولا لآل محمد ».

الدليل الخامس: ما رواه مسلم في « صحيحه » من حديث عروةَ بن الزبير، عن عائشة -رضي الله عنها- : « أنّ النبيّ ﷺ أمَر بكبش أقرن يطأ في سواد -فذكر الحديث- وقال فيه: فأخذ النبي ﷺ الكبش فأضجعه، ثم ذبحه ثم قال: بسم الله اللهم تقبَّل من محمد، ومن آل محمد، ومن أمّة محمد ، ثم ضحّى » هكذا رواه مسلم بتمامه، وحقيقة العطف المغايرة، وأمّته ﷺ أعمّ من آله.

قال أصحاب هذا القول: وتفسير الآل بكلام النبي ﷺ أولى من تفسيره بكلام غيره.

ثم عقَد -رحمه الله- فصلاً في الاحتجاج للقول؛ بأنّ آل النبي ﷺ ذريته وأزواجه خاصّة.

فقال: وأمّا القول الثاني :أنهم ذريتُه وأزواجه خاصّة، فقد=

لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء؛ حصل لآل محمد من ذلك ما يليق بهم، فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء ، وتبقى الزيادة التي للأنبياء - وفيهم إبراهيم - لمحمد ﷺ، فيحصل له من المزية، مالا يحصل لغيره » .

= تقدَّم احتجاج ابن عبد البر له؛ بأن في حديث أبي حميد « اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته » ، وفي غيره من الأحاديث « اللهم صلِّ على محمد و آل محمد » وهذا غايته أن يكون الأول منهما قد فسّره اللفظ الآخر.

واحتجّوا أيضاً بما في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » .

[أي ما يسد الرَّمق] ، ومعلوم أنّ هذه الدعوة المستجابة؛ لم تَنَل كلّ بني هاشم ولا بني المطلب؛ لأنهم كان فيهم الأغنياء وأصحابُ الجِدَة وإلى الآن، وأمّا أزواجه وذريته ﷺ ، فكان رزقهم قوتا، وما كان يحصل لأزواجه بعد من الأموال كن يتصدقن به، ويجعلن رزقهن قوتاً.

وقد جاء عائشةَ - رضي الله عنها - مالٌ عظيم ، فقسمته كلّه في قعدة واحدة، فقالت لها الجارية: لو خبأتِ لنا درهما نشتري به لحماً؟ فقالت لها لو ذكَّرتني فعلْتُ. =

قال ابن القَيّم - رحمه الله - :

« وهذا أحسن مِن كل ما تقدّم، وأحسن منه أن يقال: محمّد ﷺ هو مِن آل إبراهيم ،بل هو خيرُ آل إبراهيم؛ كما روى علي بن طلحة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في

= واحتجوا أيضاً بمافي « الصحيحين » عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: « ما شبع آل محمد ﷺ من خبزٍ ومأدومٍ؛ ثلاثة أيام ؛حتى لحق بالله عزّ وجلّ » .

قالوا: ومعلوم أنّ العباس وأولاده وبني المطلب؛ لم يدخلوا في لفظ عائشة ولا مرادِها.

ثمّ عقَد فصلاً فِي الاحتجاج لمن يقول أنّ آل الرسول ﷺ أمّته وأتباعه ، وكذا فصلاً في الاحتجاج؛ أنّ آله الأتقياء من أمّته، وذكر أدلّة المحتجّين لذلك.

قال - رحمه الله - (ص ١١٦) : فهذا ما احتجّ به أصحاب كلّ قولٍ من هذه الأقوال .

والصحيح هو القول الأول و يليه القول الثاني، وأمّا الثالث والرابع فضعيفان . . . » .

ثم ناقش هذا بالأدلّه القوية والحجج الساطعة، فانظر الكتاب المذكور إن شئت .

قوله تعالى ﴿ **إنَّ اللَّهَ اصطَفى آدَمَ ونُوحاً وآل إبراهيم وآل عِمران على العَالَمِين** ﴾ [1].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : « محمّد من آل إبراهيم »، وهذا نصٌّ، إذا دخل غيره من الأنبياء الذين هم من ذرية إبراهيم في آله؛ فدخول رسول الله ﷺ أولى فيكون قولنا: « كما صليت على آل إبراهيم » متناولاً للصلاة عليه، وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم، ثمّ قد أَمَرنا الله - تعالى - أن نصليَ عليه، وعلى آله خصوصاً؛ بقدْر ما صلينا عليه؛ مع سائر آل إبراهيم عموماً، وهو فيهم، ويحصل لآله من ذلك ما يليق بهم، ويبقى الباقي كلُّه له ﷺ، قال: ولا ريب أنّ الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم ورسول الله ﷺ معهم؛ أكمل من الصلاة الحاصلة له دونهم.

فيُطلب له من الصلاة هذا الأمر العظيم؛ الذي هو أفضل مما لإبراهيم قطعاً، ويظهر حينئذٍ فائدة التشبيه وجريُه على أصْلِه، وأنّ المطلوبَ له من الصلاة بهذا اللفظ؛ أعظمُ من

---

(١) آل عمران: ٣٣.

المطلوب له بغيره؛ فإنه إذا كان المطلوب بالدعاء إنما هو مثل المشبه به، وله أوفر نصيب منه؛ صار له من المشبه المطلوب أكثر مما لإبراهيم وغيره ، وانضاف إلى ذلك ممّا له من المشبّه به، من الحصة التي لم تحصل لغيره، فظَهَر بهذا من فضله وشرفه على إبراهيم، وعلى كلّ من آله - وفيهم النبيّيون - ما هو اللائق به، وصارت هذه الصلاة دالّة على هذا التفضيل وتابعة له، وهي من مُوجباته ومقتضياته، فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً؛ وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيّاً عن أُمّته ، اللهمّ صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد ؛ كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد، وبارِك على محمد وعلى آل محمد؛ كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

وجاء في « صفة الصلاة » (ص ١٦٧) : من الملحوظ؛ أنّ أكثر هذه الأنواع من صيَغ الصلاة عليه ﷺ ؛ ليس فيها ذِكرُ إبراهيمَ نفسِه مستقلاً عن آله، وإنما فيها :« كما صليت على آل إبراهيم» .

والسبب في ذلك أنّ آل الرجل في اللغة العربية يتناول الرجل؛

كما يتناول غيره ممن يَؤُولُه؛ كما في قوله تعالى ﴿ إنَّ اللهَ اصطَفى آدَمَ ونُوحاً وآل إِبراهيم وآل عِمران على العالَمِين ﴾ [1] .

وقوله: ﴿ إلا آلَ لوط نَجّيناهُم بسَحَر ﴾ [2] ومنه قوله: « اللهم صلّ على آل أبي أوفى » وكذلك لفظ أهل البيت؛ كقوله تعالى ﴿ رَحمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ عَلَيكُم أَهلَ البَيتِ ﴾ [3] فإنّ إبراهيمَ داخلٌ فيهم .

قال شيخ الإسلام: « ولهذا جاء في أكثر الألفاظ : « كما صليت على آل إبراهيم »، و « كما باركت على آل إبراهيم » .

وجاء في بعضها : « إبراهيمُ » نفسُه ؛ لأنه هو الأصل في الصلاة والزكاة ، وسائر أهل بيته إنما يحصل ذلك تَبَعاً ، وجاء في بعضها ذِكْر هذا وهذا؛ تنبيهاً على هذين » .

● اللهم صلّ على محمد النبيّ الأمّي :

الأمّيّ: من كان على أصل ولادة أمّه .

---

(١) آل عمران: ٣٣ .

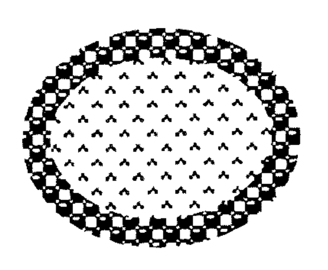
(٢) القمر: ٣٤ .

(٣) هود: ٧٣ .

وفي الحديث « إنّا أُمّةٌ أمّية لا نكتب ولا نحسُب »[1]. أراد أنّهم على أصل ولادة أمّهم، لم يتعلّموا الكتابة والحساب فهم على جبلّتهم الأولى، وقيل: الأمّي :الذي لا يكتب ... وقيل للعرب: الأمّيّون؛ لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة.[2].

في العالمين: تقدّم في سورة الفاتحة ، وهو جمع عالم وهو كل ما سوى الله ـ عزّ وجلّ ـ ، وهم أصناف الخلق.

● وبقية الصِّيغ قد تضمّن شرحها وبالله ـ تعالى ـ التوفيق.



(١) أخرجه البخاري: ١٩١٣ومسلم: ١٠٨٠ .

(٢) قاله في « النهاية » وانظر ما قاله ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسير « سورة البقرة » (آية :٧٨).

القنوت في الصلوات الخمس حين النوازل[1]

« كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يدعوَ على أحد، أو يدعوَ لأحد؛ قنت[2] في الركعة الأخيرة بعد الركوع؛ إذا قال: (سمع الله لمن حَمِده، اللهمّ ربّنا لك الحمد)»[3]. و « كان يجهر بدعائه »[4]، و « يرفع يديه »[5]، و « يؤمِّنُ من خلفه »[6].

و « كان يقنت في الصلوات الخمس كلِّها »[7]؛ لكنّه « كان لا يقنت فيها؛ إلا إذا دعا لقوم؛ أو دعا على قوم »[8]،

---

(١) انظر « صفة الصلاة » (ص١٧٨) .

(٢) المراد هنا بالقنوت: الدعاء بعد الركوع من الركعة الأخيرة.

(٣، ٤) أخرجه البخاري: ٤٥٦٠، وأحمد.

(٥) أخرجه أحمد والطبراني بسند صحيح، وهذا مذهب أحمد وإسحاق؛ أنّه يرفع يديه في القنوت؛ كما في « المسائل » للمروزي (ص٢٣).

(٦) أخرجه أبو داود والسراج، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي وغيره.

(٧) أخرجه أبو داود والسراج والدارقطني بسندين حسَنين.

(٨) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه »، والخطيب في « كتاب القنوت » بسند صحيح، وانظر « الصحيحة » (٦٣٩).

فربّما قال: «اللهم أنْج الوليد بن الوليد، وسلمةَ بن هشام، وعيّاشَ بن أبي ربيعة، اللهم اشدُد وطأتك على مُضَر، واجعلها سنين كَسِنِي يوسف، [اللهم العن لِحيان ورِعلاً وذَكوان وعُصَيَّة عصت الله ورسوله]»[1].

ثمَّ «كان إذا فَرَغ من القنوت يقول: «الله أكبر»، فيسجد»[2].

الشرح:

اللهم أنْج الوليد بن الوليد، وسلمةَ بن هشام، وعيّاشَ ابن أبي ربيعة، اللهم اشدُد وطأتك على مُضَر: اللهم اشدُدْ وطأتك.

الوطأة: البأس.

واجعلها سنين كَسِنِي يوسف: كَسِنِي - بكسر السين وتخفيف الياء -؛ أي اجعلها سنين شداداً ذوات قحطٍ وغلاء.

---

(١) أخرجه أحمد والبخاري: ٤٥٦٠، والزيادة لمسلم: ٦٧٥.

(٢) أخرجه النسائي وأحمد والسراج، وأبو يعلى في «مسنده» بسند جيد.

القنوت في الوتر[1]

« كان ﷺ يقنت في ركعة الوتر[2] » أحياناً[3] .
و« يجعله قبل الركوع »[4] .

وعلَّم الحسن بن علي - رضي الله عنهما - أن يقول : [إذا فرغ من قراءته في الوتر] :

---

(١) عن « صفة الصلاة » (١٧٩) .

(٢) أخرجه ابن نصر والدارقطني بسند صحيح .

(٣) قال شيخنا - رحمه الله - « وإنّما قلنا : « أحياناً » ؛ لأن الصحابة الذين رووا الوتر لم يذكروا القنوت فيه ، فلو كان ﷺ يفعله دائماً ؛ لنقلوه جميعاً عنه ، نعم ؛ رواه عنه أبيٌّ بنُ كعب وحده ؛ فدلّ على أنّه كان يفعله أحياناً ، ففيه دليل على أنه غير واجب ، وهو مذهب جمهور العلماء ، ولهذا اعترف المحقق ابن الهمام في « فتح القدير » بأن القول بوجوبه ضعيف ؛ لا ينهض عليه دليل ، وهذا من إنصافه وعدم تعصبه ، فإنّ هذا الذي رجّحه ؛ هو على خلاف مذهبه ! » .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة وأبو داود وغيرهما ، وانظر « صفة الصلاة » (ص ١٧٩) .

« اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني ، فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت ، وبارِك لي فيما أعطيت ؛ وقني شرّ ما قضيت، [ف] إنك تقضي ولا يُقضى عليك، [و] إنه لا يَذِلّ من واليت ، [ولا يَعِزُّ من عاديت]، تباركْتَ ربنا وتعاليتَ [لا منجا منك إلا إليك] »[1] .

الشرح:

اللهم اهدني : أي ثَبِّتني على الحقّ ،ووفّقني للصواب وزدني هدى[2] .

فيمن هديت :أي :في جملة من هديتَهم، أو هديتَه من الأنبياء والأولياء؛ كما قال سليمان ـ عليه السلام ـ: ﴿ **وأدخِلني برحمتك في عبادك الصالحين** ﴾ . وقال ابن الملك :أي : اجعلني ممن هديتهم إلى الصراط المستقيم .

وعافني فيمن عافيت :أي عافني من كل ما يجرّ غضبك وسخطك، ومن جميع الأهواء والأدواء .

---

(١) أخرجه ابن خزيمة وغيره،وانظر « صفة الصلاة » (ص ١٨١) .

(٢) انظر للمزيد ـ إن شئت ـ ما جاء في تفسير كلمة (اهدنا) في الآية الكريمة ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ .

وتولني فيمن تولّيت : أي: تولّ أمري، ولا تكِلني إلى نفسي؛ في جملة مَن تفضّلت عليهم وأحببتهم، أو ممّن تقوم بحفظ أمورهم.

وبارِك: أي: أكثر الخير

فيما أعطيت :من الإيمان والأعمال والعمر والمال والخير.

وقِني: أي: احفظني .

شرّ ما قضيت: أي: ما قدّرت لي من قضاء وقدر، فسلِّم لي العقل والدين، قال الطيبي:« وهذا من قبيل:أفِرّ من قضاء الله - تعالى - بقدره ».

فإنّك : وقَع كالتّعليل لسؤال ما قبله.

تقضي :أي: تُقدِّر، أو تحكُم بكلّ ما أردت.

ولا يُقضى عليك: فإنه لا مُعقِّب لحُكمك.

إنه :أي: الشأن .

لايَذلُّ من واليت : الموالاة ضد المعاداة، قال ابن حجر: « أي: لا يَذِلّ مَن واليت من عبادك في الآخرة، أو مطلقاً، وإن ابُتلي بما ابتُلي به، وسلِّط عليه من أهانه وأذلّه

باعتبار الظاهر، لأنّ ذلك غاية الرِّفعة والعزَّة عند الله وعند أوليائه، ولا عبرةَ إلاّ بهم، ومن ثمّ وقع للأنبياءِ - عليهم الصلاة والسلام - مِن الامتحانات العجيبة ما هو مشهور.....

ولا يَعِزُّ من عاديت : أي: لا يَعِزّ في الآخرة أو مطلقاً - وإِن أُعطي من نعيم الدنيا ومُلكِها مَا أُعطي - لكونه لم يمتثل أوامرك ولم يجتنب نواهيَك.

تباركْتَ ربّنا : أي: كثُرت بركتُك وبركة اسمك؛ إِذ وجد كلّ خير منك، ومن ذِكْر اسمك وتقدّم.

وتعاليت: تعاليت: قال ابن جرير - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ **سبحانه وتعالى عمّا يصفون** ﴾[1]:

« تنزّه الله وعلا وارتفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجَهلَة... وقال في موطنٍ آخر ﴿ **وتعالى** ﴾ : تفاعل من العلو والارتفاع».

وقال ابن كثير - رحمه الله - : « .... وتعاظَمَ عما يصِفُه

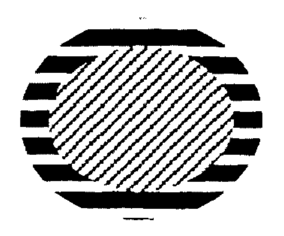
(١) الأنعام : ١٠٠ .

هؤلاء الجَهلَة ».

والمتعال: هو المستعلي على كل شيءٍ بقدرته، وهو المتفاعل من العُلوّ...[1] .وتقدّم.

لا منجا منك إلاّ إليك: لا نجاة من غضبك وعقابك وعذابك؛ إلاّ بتحقيق العبودية لك، واتباع أوامرك، واجتناب نواهيك، والفرار إليك.

ملاحظة :استفدت معظم شرح هذا الحديث من كتاب « المرقاة» (٣/٤٣٣) بتصرّف.



---

(١) انظر « تفسير الطبري » سورة الرعد (آية ـ٩).

وانظر للمزيد ـ إن شئت ـ « تفسير الطبري »و« ابن كثير» في المواضع الآتية على سبيل المثال : الحج ٦٢ ، سبأ ٢٣ ، لقمان ٣٠ .

الاستعاذة من أربع

كان رسول الله ﷺ يقول: «إذا فرغ أحدكم من التشهد [الآخِر] فليستعذ بالله من أربع: [يقولِ اللهم إنيّ أعوذ بك] من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرّ [فتنة] المسيح الدجال»، [ثمّ يدعو لنفسه بما بدا له]»[1].

الشرح:

اللهم ! إنيّ أعوذ بك من عذاب جهنم[2] ومن عذاب القبر[3]:أي: الذي ينشأ عن فتنته ، أي سؤال الملكين فيه ، وما يترتّب على ذلك.

ومن فتنة المحيا والممات:أي: فتنة الحياة والموت.

---

(١) أخرجه مسلم: ٥٨٨ وغيره، وانظر لاختلافات الروايات «صفة الصلاة» (ص١٨٢) و «الإرواء» (٣٥٠).

(٢) انظر -إن شئت- كتابي: « ماذا بعد الموت».

(٣) انظر -إن شئت- كتابي: « القبر : عذابه ونعيمه».

قال النووي ـ رحمه الله ـ (٥ / ٨٥) : « واختلفوا في المراد بفتنة الموت فقيل : فتنة القبر، وقيل : يحتمل أن يراد بها الفتنة عند الاحتضار » .

قلت : ولا يمتنع الجمع بينهما .

قال ابن دقيق العيد : « *فتنة المحيا ما يَعرِض للإنسان مدّة حياته؛ من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات وأعظمها ـ والعياذ باللَّه ـ أمر الخاتمة عند الموت .

وفتنة الممَات : يجوز أن يُراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إليه لقربها منه، أي : الاحتضار، ويجوز أن يُراد بها فتنة القبر»[١] .

ومن شرّ فتنة المسيح الدّجال : « قال أهل اللغة : الفتنة : الامتحان والاختبار . . . .

والمسيح يطلق على الدجّال، وعلى عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ لكن إذا أريد الدجال قُيّديه »* .

والدجّال : الخدّاع المُلبِّس الأمور على النَّاس،وأَصل الدَّجْل الخلط، يُقال دجَّل إذا لبَّس وموَّه، وفعَّال من أبنية المبالغة، أي : يكثُر منه الكذب والتلبيس، وانظر « النهاية » .

---

(١) ما بين نجمتين من « تحفة الأحوذي » (٩ / ٤٦٦) ـ بخذف ـ .

وأعظم فتنةٍ في الدجال؛ زعْمه أنه الربّ والخالق . . . .عياذاً بالله .

قال عبداللَّه - رضي الله عنه - :

قام النَّبيُّ ﷺ في النَّاس، فأثنَى على اللَّه بما هو أهلُه، ثمَّ ذكَرَ الدجَّال فقال :

« إنِّي أُنذِرُكُموه، وما مِن نبيٍّ إلاّ وقد أنذَر به قومَه، لقد أنذر نوحٌ قومَه، ولكنْ سأقول لكم فيه قولاً ؛ لم يقُلْه نبيٌّ لقومِه : تعلمون أنَّه أعور، وأنَّ اللَّه ليس بأعور » .

والدجَّال ذو فتنة عظيمة ـ نسأل اللَّه المعافاة ـ معه جبل خُبزٍ ونهرُ ماء[1]، : « يأمر السماء فتُمطر، والأرض فَتُنبت، ثمّ يأتي القوم فيدعوهم فيردّون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبِحون مُمحِلين؛ ليس بأَيديهم شيء من أموالهم، ويمرُّ بالخَرِبَة فيقول لها : أخرجي كنُوزكِ؛ فتتبعه

(١) انظر « صحيح البخاري » (٧١٢٢) و « صحيح مسلم » (٢٩٣٧) .

كُنُوزها كيعاسيب النحل[1] »[2].

« والدجّال أعور العين اليمنى كأنّها عِنَبَةٌ طافية »[3].

« وإنَّ بين عينيه مكتوب كافر »[4].

« وهو جعد الرأس »[5] : « قطط »[6].

والقطط: شديد جعودة الشعر، مباعد للجعودة المحبوبة. « نووي ».

وللشيخ محمود عطية ـ حفظه اللّه ـ كتاب « فقد جاء أشراطها » وهو كتاب قيّم مفيد في أشراط الساعة، وبَحَثَ فيه فتنة المسيح الدجّال، فارجع إليه إنْ شئت.

---

(١) يعاسيب النحل: هي ذكور النحل، وقال القاضي: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصّة، لكنّه كَنّى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها، لأنّه متى طار تَبِعَتْه جماعته، واللّه أعلم. « نووي ».

(٢) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

(٣) « صحيح البخاري » (٧١٢٣) و « صحيح مسلم » (١٦٩).

(٤) انظر « صحيح البخاري » (٧١٣١) و « صحيح مسلم » (٢٩٣٣).

(٥) انظر « صحيح البخاري » (٧١٢٨).

(٦) انظر « صحيح مسلم » (٢٩٣٧).

الدعاء قبل السلام(١)

من السنّة أن يتخيّر المصلّي من الأدعية الآتية ما شاء ويُنوّع، وهي:

١-« اللهمّ إنّي أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهمّ إني أعوذ بك من المأثم والمغرم »(٢).

٢- « اللهم إنّي أعوذ بك من شر ما عمِلتُ، ومن شر ما لم أعمل [بعد] »(٣).

٣- « اللهم حاسِبني حساباً يسيراً »(٤).

---

(١) عن « صفة الصلاة » (ص١٨٣) بتصرّف.

(٢) أخرجه البخاري: ٨٣٢، ومسلم: ٥٨٩.

(٣) أخرجه النسائي بسند صحيح، وابن أبي عاصم في كتاب « السُّنة » (٣٧٠) والزيادة له.

(٤) أخرجه أحمد والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

٤ - اللهم! بعلمكَ الغيب، وقُدرتك على الخلق؛ أَحيِني ما علمْتَ الحياةَ خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاةُ خيراً لي، اللهم وأسألُك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحقّ (وفي رواية: الحُكم) والعدل في الغضب والرضى، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا يبيد، وأسألك قُرّة عين [لا تنفد و] لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت، [أسألك لذّة النظر إلى وجهك، و[أسألك] الشوق إلى لقائك في غير ضرّاء مُضرّة، ولا فتنة مُضلّة، اللهم زينّا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين»[١].

٥ - وعلَّم ﷺ أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - أن يقول: «اللهمّ إني ظلمتُ نفسي ظُلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»[٢].

٦ - وأمَرَ عائشة - رضي الله عنها - أن تقول: «اللهمّ

---

(١) أخرجه النسائي، والحاكم وصحّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري: ٨٣٤، ومسلم: ٢٧٠٥.

إنّي أسألك من الخير كلهّ؛ [عاجله وآجله]؛ ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كلّه [عاجله وآجله] ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأسألك (وفي رواية : اللهمّ إني أسألك) الجنّة ،وما قرّب إليها من قولٍ أو عمل، وأعوذ بك من النار، وما قرّب إليها من قولٍ أو عمل، وأسألك (وفي رواية : اللهمّ إني أسألك) من [الـ] خير ما سألَك عبدك ورسولك [محمّد ﷺ ، وأعوذ بك من شرّ ما استعاذ منه عبدك ورسولك محمّد ﷺ]، [وأسألك] ما قضيتَ لي من أمْر ؛أنْ تجعل عاقبته [لي] رشداً »[١] .

٧- و « قال ﷺ لرجل: « ما تقول في الصلاة؟ » قال: أتشهّد، ثمَّ أسأل الله الجنّة، وأعوذ به من النار، أما والله ما أُحسِن دندنتك [٢] ولا دندنة معاذ، فقال ﷺ : (حولها ندندن) »[٣] .

---

(١) أخرجه أحمد والطيالسي والبخاري في « الأدب المفرد » وابن ماجه، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر « الصحيحة » (١٥٤٢).

(٢) أي: مسألتك الخفية ، أو كلامك الخفي، وفيه تُسمعُ نغمة الكلام ولا يُفهَم.

(٣) أخرجه أبو داود وابن ماجه، وابن خزيمة بسند صحيح.

٨- وسمع رجلاً يقول في تشهُّده: «اللهمّ إني أسألك يا الله (وفي رواية :بالله) [الواحد] الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد؛ أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم. فقال ﷺ: (قد غفر له، قد غفر له)»[١].

٩- وسمع آخر يقول في تشهّده أيضاً: «اللهمّ إني أسألك بأنّ لك الحمد، لا إله إلا أنت [وحدك لا شريك لك]، [المنّان]، [يا] بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيّ يا قيوم [إني أسألك] [الجنة، وأعوذ بك من النار] [فقال النّبيّ ﷺ لأصحابه: تدرون بما دعا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (والذي نفسي بيده]؛ لقد دعا الله باسمه العظيم (وفي رواية: الأعظم)؛ الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى)»[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود والنسائي، وأحمد وابن خزيمة، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد والبخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني، وابن منده في «التوحيد»؛ بأسانيد صحيحة.

١٠- وكان من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدّمتُ، وما أخّرتُ، وما أسرَرْت، وما أعلنتُ، وما أسرفتُ، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت»[1].

الشرح:

●**اللهمّ إنّي أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**: تقدّم.

اللهمّ إني أعوذ بك من المأثم والمغرم: والمأثم :هو الأمر الذي يأثم به الإنسان، أو هو الإثم نفسه؛ وضْعاً للمصدر موضع الاسم. «النهاية».

وكذلك **المغرم**: ويريد به الدَّيْن؛ بدليل تمام الحديث: «قالت عائشة: فقال له القائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله! فقال: إنّ الرجل إذا غرم؛ حدَّث فكذَب، ووعد فأخلف».

---

(١) أخرجه مسلم: ٧٧١، وأبو عوانة.

وجـاء في « النهـاية » : « الـمَـغْـرَم : كـالغُـرْم، وهو الدَّيْن ويريُد به ما استدُين فيما يكـرهه الله، أو فيما يـجوز ثمَّ عَجَز عن أدائه؛ فـأمّا دَيْنٌ احـتـاج إليـه؛ وهو قـادر على أدائه؛ فـلا يُستعاذ منه » .

● **اللهم إنّي أعوذ بك من شرّ ما عملتُ**: أي : من السيئات، أو ما يَقتَضي عقوبَةً في الدنيا والآخرة، أوعملٍ يُحتاج فيه إلى العفو.

ومن شرّ ما لم أعمل بعد: أي: من الحسنات يعني: من شرّ تركي العملّ بها، أو من شرّ ما لم أعمل بعد؛ مما يجلب غضبك؛ بأن تحفظني منه في المستقبل[١].

● **اللهم حاسِبني حَساباً يسيراً**: يوضّح معنى هذا الدعاء؛ حديث عِائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: « سمعْتُ رسـول الله ﷺ يقـول في بعض صـلاته: اللـهمَّ حـاسـبْني حسـاباً يسيـراً، قلت: يا نبيَّ الله ما الحساب اليسيرُ؟ قال:

---

(١) ملتقطٌ من أقوال بعض العلماء ، وانظر للمزيد ـ إن شئت ـ « شرح النووي » (١٧ / ٣٨) و« فيض القدير» (٢ / ١٠٧) و« صفة الصلاة » (١٨٤) .

أن ينظر في كِتابه ، فيتجاوز عنه؛ إِنه من نوقش الحسابَ [1] يومئذٍ يا عائشة هلك »[2].

● **اللهم بعِلمِكَ الغيب وقُدرتك على الخلق** : جاء في « فيض القدير» (٢ / ١٤٦) : « الباء للاستعطاف والتذلُّل . . . » .

وفيه سؤال الله تعالى بصفاته وهي هنا العلم والقدرة .

أصل الغيب : كل ما غاب عنك من شيء، وقال الثعالبي في « فقه اللغة » : « كل ما غاب عن العيون؛ وكان مُحَصّلاً في القلوب فهو غيب » .

أَحيِني : أي : أَمِدَّني بالحياة .

ما علمْتَ الحياةَ خيراً لي : بأن يغلب خيري على شرّي .

وتوفّني إذا كانت الوفاةُ خيراً لي : بأن تغلب سيئاتي

---

(١) من نوقش الحساب : أي في المحاسبة والمضايقة في المطالبة .

(٢) أخرجه أحمد وقال شيخنا ـ رحمه الله ـ في « هداية الرواة » (٥ / ١٧٥) وإسناده جيّد ، وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي . . . انتهى .

قلت : وأَصْلُه في « الصحيحين» وانظر « صحيح البخاري » (١٠٣ ، ٤٩٣٩ ، ٦٥٣٦ ، ٦٥٣٧) و« صحيح مسلم» (٢٨٧٦) .

على حسناتي، أو بأن تقع الفتن؛ ما ظهر منها وما بطن.[1].

وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة: أي في السرّ والعلانية ، والمشهد والمغيب.

اللهم وأسألك كلمة الحقّ وفي رواية الحكم والعدل في الغضب والرضى: في رواية: وكلمة الإخلاص في الرضى والغضب .[2].

جاء في «المرقاة» (٥ / ٣٦٧) في تفسير وأسألك كلمة الحق في الرضى والغضب: «أي: في حال رضا الخلق وغضبِهم ، أو في حال رضائي وغضبي [والثاني أرجح] أي: أكون مستمراً عليها في جميع أحوالي وأوقاتي.

وزاد في «الحصن» :وكلمة الإخلاص، وهو يحتمل أن يكون تفسيراً لكلمة الحقّ، كما قال تعالى: ﴿**لَهُ دَعوَةُ الحَق**﴾ أي: دعوة التوحيد المطلق والشرع المحقّق، وأن يكون

---

(١) انظر «المرقاة» (٥ / ٣٦٧).

(٢) «سنن النسائي» (١٣٠٦) وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ.

المراد بكلمة الحقِّ الحُكم[1] بالعدل، وبكلمة الإخلاص: التوحيد، أو النصيحة الخالصة عن الرياء والسمعة [قلت: ولا يمتنع الجمع].

وأسألك القصد في الفقر والغنى: القصد :الاعتدال والتوسّط.

وأسألك نعيماً لا يبيد: أي: لا يفنى، وهو نعيم الجنة وأمّا غيره؛ فكلّ نعيمٍ لا محالة زائل.[2].

وأسألك قُرّة عين لاتنفد ولا تنقطع: قُرّة عين :أي: السرور والفرح ، وحقيقته :أَن الله تعالى يُبرد دمعة العين؛ لأن دمعة الفرح والسرور باردة .وانظر «النهاية».

قال المناوي في « فيض القدير » (٢ / ١٤٦) :

« وأسألك قرّة عينٍ؛ بكثرة النسل المستمر بعدي، أو بالمحافظة على الصلاة، لقوله: وجُعلت قُرّةُ عيني في الصلاة » **لا تنقطع**: بل تستمر ما بَقِيَت الدنيا، وقيل: أراد

---

(١) وجاءت في رواية كما تقدّم.

(٢) انظر «المرقاة» (٥ / ٣٦٨).

قُرة عينه، أي : بدوام ذِكْره وكمال محبته والأُنس به، قال بعضهم: مَن قَرَّت عينه بالله؛ قَرَّت به كلّ عين».

وأسألك الرضى بعد القضاء: أي بما قدَّرته لي؛ لأتلقّاه بوجهٍ منبسطٍ، وخاطرٍ منشرح، وأَعلم أنّ كلَّ قضاءٍ قضيته لي فيه خير.[1].

وأسألك برد العيش بعد الموت: بَرد العيش :أي: الناعم السهل[2]، والطيب والحسنَ[3]؛ لأَنه لا عيش إلا عيش الآخرة.

وأسألك لذّة النظر إلى وجهك : عن صهيب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:« إِذا دخَل أهل الجنّة الجنّة يقول الله - تبارك وتعالى -: تريدون شيئاً أزيدُكم ؟ فيقولون : أَلم تبيِّض وجوهنا ، أَلم تُدخلنا الجنّة وتنجّنا من النار؟ فيَكشِف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أَحبّ إليهم من

---

(١) « فيض القدير» (٢/ ١٤٦) بتصرف يسير.

(٢) انظر « غريب الحديث » للخطابي (١/ ١٨١).

(٣) انظر «المرقاة» (٥/ ٣٦٨).

النظر إلى ربّهم »[1].

وأسألك الشوق إلى لقائك: قال ابن القَيِّم ـ رحمه الله ـ: « جمَع في هذا الدعاء بين أطيب ما في الدنيا، ـ وهو الشوق إلى لقائه ـ وأطيب ما في الآخرة ـ وهو النظر إليه ـ ولمّا كان كلامه موقوفاً على عدم ما يضرّ في الدنيا أو يفتن في الدين قال: (في غير ضرّاء مُضرّة) »[2].

في غير ضرّاء مُضرّة: الضراء: الشدّة، ومعنى ضرّاء مُضِرّة: الضرّ الذي لا يُصبَر عليه.

قال في « المرقاة » (٥ / ٣٦٩): « وحاصل المعنى أنّي أسألك شوقاً؛ لا يضرني في بدني، بأن أفعل ما لا طاقة لي به، ولا في قلبي؛ بأن تغلب عليّ الجذية[3] بحيث أخرج عن طور عقلي، فيفوتني مرتبة الجمع، ولذا قال:

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١).

(٢) « الفيض » (٢ / ١٤٦).

(٣) هكذا في نسختي ولعلها الجدية ـ بالمهملة أي: بالدّال ـ وفي بعض معاجم اللغة: « تجذّى الرجل يومه أجمع: دأب فيه ». فهما بمعنى، والله أعلم.

ولا فتنة مُضِلّة: لأنّ الفتنة تعمّ ما يؤدي إلى الهلاك الحسي والمعنوي ،والمضلة ما يوجب الانحراف عن الطريق القويم والصراط المستقيم » .

وقال في « الفيض » (٢ / ١٤٦) : (ولا فتنة مُضلّة) : « أي : موقعة في الحيرة مفضية إلى الهلاك » .

قلت :وكلام القاري ـ رحمه الله ـ أكثر شمولا في المعنى .

اللهم زينّا بزينة الإيمان : أي اشرح صدورنا وقلوبنا بطاعتك، وحبِّب إلينا الإيمان والعمل بمقتضاه، ليكون نور ذلك في القلب والجوارح؛ وزيّنّا بالعمل بأوامرك، واجتناب نواهيك .

واجعلنا هداةً مهديّين : هداة جمع هادٍ، أي : هادين إلى الدين .

قال الطيبي ـ رحمه الله ـ : « وصَف الهداة بالمهديّين؛ لأنّ الهادي إذا لم يكن مهدياً في نفسه؛ لم يصلُح أن يكون هادياً لغيره؛ لأنه يوقع الحق في الضلال من حيث لا يشعر.[1] » .

---

(١) انظر « المرقاة » (٥ / ٣٦٩) .

● **اللهمّ إني ظلمتُ نفسي ظُلماً كثيراً** : ظُلم الإنسان نفسه : هو ترْكها[1] للذّتها وهواها . « إكمال الإكمال » .

وقال في « الدليل » : « أكّد ذلك بالمصدر ثمّ وصَفَه ، زيادةً في التذلّل والخضوع للمولى - سبحانه وتعالى - » .

ولا يغفر الذنوب إلا أنت : فيه إقرار بالوحدانية واستجلابٌ للمغفرة[2] .

وقال الحافظ - رحمه الله - في « الفتح » (١١ / ١٣٢) : « أي ليس لي حيلةٌ في دفْعه ، فهي حالةُ افتقار ؛ فأشبه حال المضطر الموعود بالإجابة » .

فاغفر لي مغفرة من عندك : أي : تفضّلاً منك ؛ وإن لم نكن لها أهلاً ، وإلاّ فالمغفرة كلّها من اللّه - سبحانه - ، وأكّد ذلك بقوله : « إنّك أنت الغفور الرحيم » ، أي : لا لأنّي أستحقّ ذلك .[3] .

---

(١) أي : أن يُبقيَها في لذّتها وهواها .

(٢) قاله في « تحفة الأحوذي » .

(٣) انظر « إكمال الإكمال » (٩ / ١٠٧) .

قال الطيبي: «دلَّ التنكير على أنَّ المطلوب غفران عظيم؛ لا يدرَك كنهه ووصْفه، بكونه من عنده ـ سبحانه وتعالى ـ مريداً لذلك؛ لأنَّ العِظَم الذي يكون من عند اللَّه، لا يُحيط به وصف».[1].

إنك أَنت الغفور الرحيم: فيه التوسل باسمَي الغفور والرحيم، وهما من الأسماء الحُسنى، واختتم الدعاء بهما؛ لأن الدعاء قبله طلب المغفرة والرحمة.

●**اللهمّ إنّي أسألك من الخير كلّه؛ عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم**: أي بسائر أنواعه، وجميع وجوهه.

عاجله وآجله: الآجل على وزن فاعل، وهو خلاف العاجل.[2].

وأعوذ بك من الشرّ كلّه؛ عاجِله وآجله، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأسألك الجنّة وما قرّب إليها من قولٍ أو عملٍ: أي: أسألك أَن تُحبِّبَ إليَّ كلَّ قول أو عملٍ يقرّبني إلى الجنَّة.

---

(١) انظر «تحفة الأحوذي» (٩ / ٥١٠).

(٢) «فيض القدير» (٢ / ١٢٨).

قلت: وهذا يقتضي طلب العِلم؛ لمعرفة القول أو العمل الذي يدخل الجنَّة، وكذا الذي يُدخل النَّار، فأسعد النَّاس بذلك العلماء وطلاّب العِلم العاملون المخلصون الذّاكرون.

● **وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل**: قال الحليمي: «هذا من جوامع الكَلِم التي استحبّ الشارع الدعاء بها؛ لأنه إذا دعا بها؛ فقد سأل الله من كل خير، وتعوَّذ به من كل شرّ، ولو اقتصر الداعي على طَلَب حسنةٍ بعينها أو دَفْعِ سيئةٍ؛ كان قد قصّر في النظر لنفسه[1]».

وأسألك من الخير ما سألَك عبدك ورسولك محمّد ﷺ: هذا دعاء مُجمَل قَيّم، يلزم منه استقصاء أَدعية النبيّ ﷺ، وما فات بعد ذلك فإنه يدخل في هذا الإجمال.

وأعوذ بك من شرّ ما استعاذ منه عبدك ورسولك محمّد ﷺ: أي: من شِرْكٍ أو شرٍّ أو بدعةٍ أو معصيةٍ أو إثمٍ، وفي هذا الدعاء الخير العظيم، وتأمّل كيف كان الإجمال البليغ في السؤال، وكذا في التعوذ والالتجاء.

---

(١) «فيض القدير» (٢/ ١٢٨).

وأسألك ما قضيتَ لي من أمْر ؛ أن تجعل عاقبته لي رشداً: أصْل القضاء: القطع والفصل، يقال: قضى يقضي قضاءً، فهو قاضٍ إذا حَكَم وفصَل.

وقال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه؛ مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكلّ ما أُحكم عملُه أو أُتمّ أو خُتم، أو أُدّي أو أُعلم أو أُنفذ أو أمضي؛ فقد قُضي[1].

والظاهر أنّ المراد هنا بقوله: «وما قضيت»: أي: ما حكَمْت في أمرٍ أو أمضيتَه.

أن تجعل عاقبَتَه رشَداً: أي: فيه الهداية، بعيداً عن الغي والضّلال.

فاحرص أخي - رحمني اللّه وإيّاك - على التزام هذا الدعاء والإكثار منه ؛ فإنّه لم يدَعْ خيراً إلاّ دعا به رسول اللّه ﷺ، ولا شرًّا إلاّ استعاذ منه.

وفي بعض الروايات: «قالت عائشة - رضي اللّه عنها - دخَل عليَّ النَّبيُّ ﷺ وأنا أُصلِّي - وله حاجة فأبطأْتُ عليه -

---

(١) «النهاية». بحذف يسير.

فقال: «يا عائشة، عليك بجُمَلِ الدعاء وجوامعِه»، فلمّا انصرفْتُ قلتُ: يا رسول اللَّه! وما جُمَل الدعاء وجوامعُه؟ قال: . . . .وذكره»[1].

وجُمَل الدعاء وجوامِعه: وهي ما قلّ لفْظه وكَثُر معناه، وهي التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على اللَّه ـ تعالى ـ وآداب المسألة.[2]

والجُمَل هنا مرادف جوامع.

جاء في «المحيط»: «جُمَل جمع، وأجمَلَ الشيء: جمَعه عن تفرقة».

وفي حديث عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ: «كان رسول اللَّه ﷺ يستحبّ الجوامع من الدعاء، ويَدَعُ ما سوى ذلك»[3].

● وسمع رجلاً يقول في تشهُّده: **اللهمّ إني أسألك يا**

---

(١) انظر «الصحيحة» (١٥٤٢) و«صحيح الأدب المفرد» (٤٩٧/ ٦٣٩).

(٢) «النهاية»، بزيادة من «الفيض» (٢/ ١٢٨).

(٣) «صحيح سنن أبي داود» (١٣١٥).

الله، **الواحد** : لا شريك له في مُلكه ولا سلطانه .

والواحد الأحد : الأحد هو الواحد، الذي لا نظير له، ولا وزير، ولا نديد، ولا شبيه، ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ـ عزّ وجلّ ـ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.[1]

الصمد : هو الذي يُصمد إليه في الحوائج ، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه .[2]

الذي لم يلد، ولم يولد : ليس له ولد ولاوالد ولا صاحبة: قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ :« وقوله : ﴿ **لَمْ يَلِدْ** ﴾ يقول: ليس بفانٍ، لأنّه لا شيء يلد إلا هو فانٍ بائد ﴿ **وَلَمْ يولَدْ** ﴾ يقول: وليس بمحدَث لم يكن فكان، لأن كلّ مَولود؛ فإنما وُجد بعد أن لم يكن، وحدَث بعد أن كان غير موجود، ولكنه ـ تعالى ذِكْره ـ قديم لم يزل ، دائم

---

(١) « تفسير ابن كثير » ـ رحمه الله ـ.

(٢) المصدر نفسه .

لم يَبِد ولا يزول ولا يفنى».

ولم يكن له كفُواً أحد: لم يكن له شبيه ولا مثِل، وقال بعضُ أهلِ التأويل: لم يكن له صاحبة.

قلت: والمعنيان صحيحان، والقول الثاني متضمَّن في الأوّل.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: قال مجاهد ﴿**ولم يَكُن له كُفواً أحَد**﴾: يعني لا صاحبة له.

وهذا كما قال ـ تعالى: ﴿**بَديعُ السَمَاوات والأرضِ أنَّى يَكونُ لَهُ ولد ولم تكن له صاحبةٌ وخَلَقَ كلَّ شيء**﴾[1] أي: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون مِنْ خَلْقِه مِن نظيرٍ يساميه، أو قريبٍ يدانيه؟! ـ تعالى وتقدَّس وتنزّه ـ.

أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم: فيه التوسّل بطلب المغفرة باسمَي الغفور والرحيم.

● **اللهمّ إني أسألك بأنّ لك الحمد**: تقديم الجار

---

(١) الأنعام: ١٠١.

والمجرور للاختصاص .

لا إله إلا أنت : أي لا معبود بحقٍّ إلاّ أنت .

وقد قال الله ـ تعالى ـ في حقّ ذي النون ـ عليه السلام ـ

﴿ فَنَادى في الظُلُمات أن لا إله إلا أنتَ سبحانك إنّي كُنْتُ من الظالمِين. فَاستَجَبنا له ونَجّيناه مِن الغَمّ وكذَلِك نُنجي المُؤمِنين ﴾ .

وقال ـ عليه الصلاة و السلام ـ :« دعوة ذي النُّون إذْ دَعا بها وهو في بَطنِ الحُوت : لا إله إلا أنتَ سبحانك إنّي كُنْتُ من الظالِمين .لم يَدْعُ بها رَجلٌ مُسلمٌ في شيءٍ قط إلاّ استجاب الله له »[1] .

وحدك لا شريك لك المنّان : أي كثير العطاء ؛ من المِنَّة بمعنى النّعمة .

وقال بعض العلماء : « وكثيراً ما يَرِد المنّ في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه، ولا يطلب الجزاء عليه،

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في « صحيح الكَلِم الطيّب » (ص ٧٣) .

والمنّان مِن أَبنية المبالغة ؛ كالوّهاب » .

يا بديع السماوات والأرض : أي مُبدعها، ومعنى المبدِع : المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إِلى إنشاء مِثْله وإحداثِه أحد؛ ولذلك سُمّي المبتدع في الدين مبتدعاً؛ لإِحداثه فيه ما لم يسبقه إليه غيرُه. وكذلك كلّ مُحدِثٍ فعلاً أو قولاً لم يتقدّمه فيه متقدّم؛ فإِنّ العرب تُسمّيه مبتدِعاً.[1]

فمعنى بديع السماوات والأرض: مالك من في السماوات والأرض ، تشهد له جميعاً بدلالتها عليه بالوحدانية، وتُقِرّ له بالطاعة؛ وهو بارئها وخالقها، وموجدها من غير أصل، ولا مثال سابقٍ احتذاها عليه[2].

يا ذا الجلال والإِكرام :أي: يا ذا العظمة والكبرياء والمجد الذي يعظم ويبجل لأجله ، والإِكرام الذي هو سعة الفضل والجود الذي يُكْرِم أولياءه، وخواصَّ خلقه؛ بأنواع الإِكرام الذي يكرمه أولياءه ويجلّونه، ويعظمونه ويحبونه،

---

(١) انظر « تفسير الطبري » .

(٢) المصدر نفسه .

وينيبون إليه ويعبدونه.[1]

يا حيّ يا قيوم إنّي أسألك الجنّة، وأعوذ بك من النّار: الحي القيّوم: أي الحيّ في نفسه الذي لا يموت أبداً، المقيمُ لغيره، وكان عمر يَقرأ «القيّام» فجميع الموجودات مفتقرةٌ إليه وهو غنيّ عنها، ولا قوام لها بدون أمره، كقوله ﴿ **ومِن آياتِه أن تَقومَ السَّماءُ والأرضُ بأمره**[2] ﴾[3].

قال العلاّمة السعدي - رحمه الله -: «هذان الاسمان الكريمان؛ يدلّان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة؛ تضمُّناً ولزوماً، فالحيّ مَن له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات؛ كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحوِ ذلك.

والقيّوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مُستلزِمٌ لجميع الأفعال التي اتصف بها ربّ العالمين؛ مِنْ فِعْله ما يشاء؛ من الاستواء والنزول، والكلام والقول، والخلق

---

(١) قاله العلاّمة السعدي - رحمه الله - في تفسير سورة «الرحمن» (آية: ٢٧).

(٢) الروم: ٢٥.

(٣) «تفسير ابن كثير» - رحمه الله -.

والرزق، والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيّوميّة الباري. . . » .

وقال ـ رحمه الله ـ في تفسير سورة آل عمران : « القَيّوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته؛ في الإيجاد والإعداد والإمداد، فهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام وللقلوب والأرواح ، و من قيامه ـ تعالى ـ بعباده ورحمته بهم؛ أنْ نزَّل على رسوله محمد ﷺ الكتاب، الذي هو أجَلّ الكتب وأعظمها المشتمل على الحقّ؛ في إخباره وأوامره ونواهيه، فما أخبر به صدق، وما حكم به فهو العدل، وأنزله بالحقّ؛ ليقوم الخلق بعبادة ربهم ويتعلموا كتابه » .

● **اللهمَّ اغفِر لي ما قدَّمْتُ** : أي : قبل هذا الوقت .

وما أخَّرْتُ : عن هذا الوقت .

وما أسرَرْتُ وما أعلنْتُ : أي : أَخفيتُ وأظهرتُ، أو ما حدَّثتُ به نفسي، وما تحرَّكَ به لساني . [1] .

---

(١) « فتح » (٣ / ٥) .

وما أسرفت: الإسراف هو: الإكثار من الذنوب والخطايا، واحتقاب الأوزار والآثام. «النهاية».

وما أنتَ أعلم به منِّي: هو من العامّ بعد الخاصّ. «فتح».

أنتَ المقدِّم و أنتَ المؤخِّر: جاء في «العمدة» (٧ / ١٦٧): «قال ابن التين: أنت الأوّل وأنت الآخر.

وقال ابن بطال: يعني أنَّه قدّم في البعث إلى النَّاس على غيره ﷺ بقوله: «نحن الآخرون السابقون»، ثمَّ قدّمه عليهم يوم القيامة بالشفاعة؛ بما فضّله به على سائر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فسبق بذلك الرسل».

وقال في «الدليل» (٤ / ٢٩٢): «أنت المقدّم، أي: من تشاء إلى الجنَّة بالتوفيق للعمل الصالح، وأنت المؤخِّر: لمن تريد إلى النَّار بالخذلان».

وفي «النهاية»: «المقدِّم: هو الذي يُقدِّم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحقّ التقديم قدّمه.

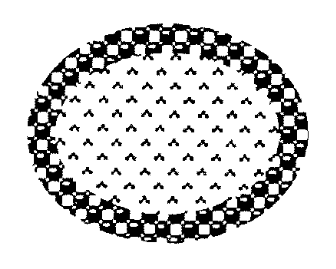
والمؤخِّر: هو الذي يؤخّر الأشياء ويضعها في مواضعها». انتهى.

وسألتُ شيخنا ـ رحمه اللَّه تعالى ـ عمّا تقدّم مِن أقوالٍ،

فقال: « يبدو أَنّ الكلام الذي جاء في « النهاية » هو النهاية ».

لا إله إلاَّ أنتَ: لا معبود بحقّ إلا أنت، وتقدَّم، وتأمّل تكرار هذه الكلمة الطيّبة في الأدعية؛ في مواطن عديدة، فعلينا أَن نتدبّر مدلولها ومعناها، وأن ندرك مغزاها ومرماها، وأن نعمل بمقتضاها؛ لنفوز في الدارين بإذن الله ـ تعالى ـ.

ملاحظة: تقدّم شرح مِثْله في دعاء الاستفتاح.



التسليم

« كان رسول الله ﷺ يسلم عن يمينه: « السلام عليكم ورحمة الله »، حتى يُرى بياض خدّه الأيمن، وعن يساره: « السلام عليكم ورحمة الله »، حتى يُرى بياض خده الأيسر »[1].

وكان أحياناً يزيد في الأولى: « وبركاته »[2].

وكان إذا قال عن يمينه: « السلام عليكم ورحمة الله » اقتصر – أحياناً – على قوله عن يساره: « السلام عليكم »[3]، وأحياناً « كان يسلم تسليمة واحدة: « السلام

---

(١) أخرجه مسلم: ٥٨٢ ، بنحوه وأبو داود والنسائي والترمذي وصححه.

(٢) أخرجه أبو داود وابن خزيمة (١ / ٨٧ / ٢) بسند صحيح، وغيرهما، وصححه عبدالحقّ في « أحكامه » (٥٦ / ٢) وكذا النووي والحافظ ابن حجر، وانظر « صفة الصلاة » (١٨٧).

(٣) أخرجه النسائي وأحمد والسراج بسند صحيح. وانظر « صفة الصلاة » (١٨٨).

عليكم »، تلقاء وجهه، يميل إلى الشق الأيمن شيئاً [أو قليلاً] »[١].

الشرح :

السلام عليكم: قال بعض العلماء :« قيل : معنى اسم السلام أي : اسم الله عليك، فإنه من أسمائه - تعالى - لأنه المُسَلّم لعباده من الآفات ».

قال الزهري :« السلام بمعنى التسليم، ومن سلم الله عليه سَلِمَ من الآفات كلها، وقيل : السلامة من الآفات كلها عليك ».

ورحمة الله وبركاته : بركاته : اسم لكل خير فائض منه - تعالى - على الدوام، وقيل :**البركة**: الزيادة في الخير[٢].

---

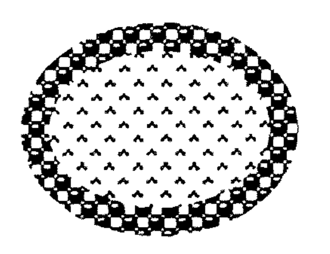
(١) أخرجه الترمذي وغيره، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وابن الملقن في « الخلاصة »، وانظر للمزيد « صفة الصلاة » (١٨٨)، و« الإرواء » (٢ / ٣٣)، و« الصحيحة »(٣١٦).

(٢) انظر « المرقاة » (٢ / ٦٢٨).

وانظر ما جاء في التشهد في قوله: « السلام على النبي ورحمه الله وبركاته » .

وقاله ابن جرير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى ﴿ **رحمتُ الله وبركاتُه عليكم أهلَ البيت** ﴾[1] .

« يقول : رحمة الله وسعادته لكم أَهل بيت إِبراهيم » .



(١) هود : ٧٣ .

الخاتمة

هذا آخر ما تيسَّر لي كتْبهُ في هذا الموضوع، وأسأله - تبارك وتعالى - أَن يكون وسيلةً لإحسان صلاتي وأبناء الإسلام، وصلى الله على نبيّنا محمد النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه، ومَن تَبِعَه بإحسان إلى يوم الدين.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

وكتب:

حسين بن عودة العوايشة

عمّان في: ١٠ ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ.

الفهرس